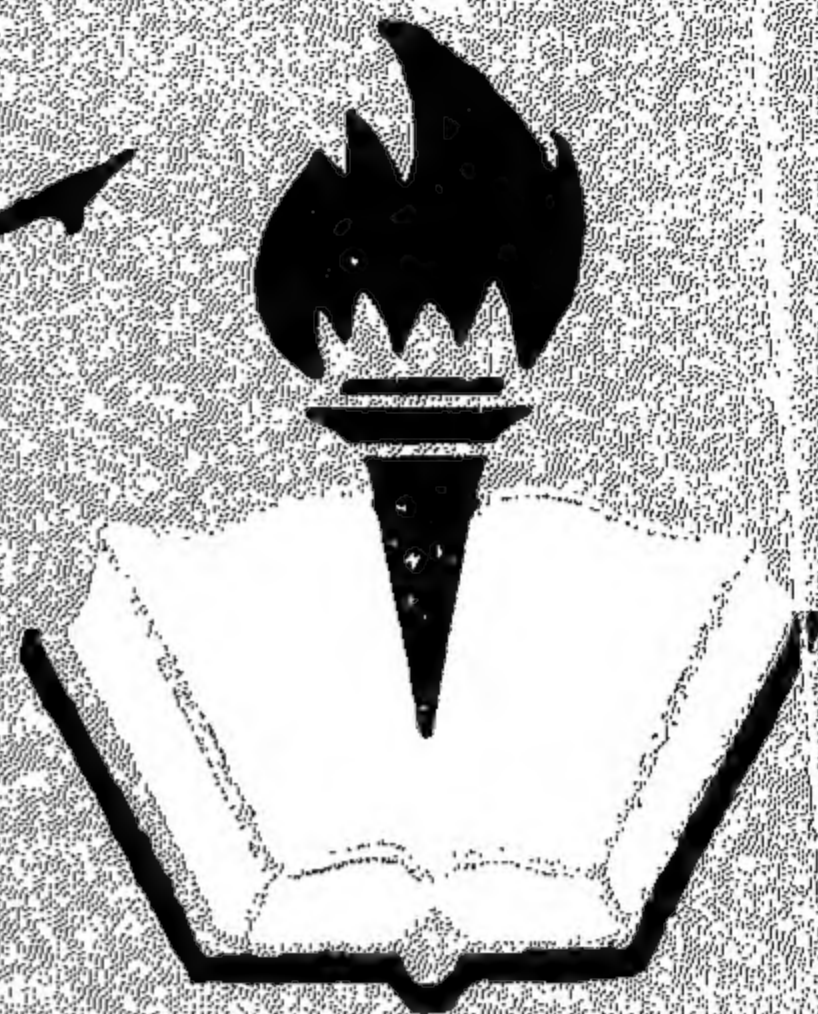




كتب قومية



القرى المعنوية في الميثاق

بمقتضى
أبراهيم بسيوني

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية



0192383

www.alexandria.gov.eg

Bibliotheca Alexandrina

كتب قومية

القوى العنوية في الميثاق

بمقام
ابراهيم بزيوني

مقدمة

الغرض من هذا الكتاب

ميثاقنا الوطنى تيار متدفق فى كل مجالات الحياة ، تمتد
منه نهيرات تتشعب الى كل جانب من جوانبها •

وهو رصيد غنى يمد المتخصصين - فى الصناعة والزراعة
والاقتصاد والطب وغيرها من وجوه النشاط المادى - بما
يعين على تشكيل النظريات ووضع برامج التطبيق •

ولقد حسب الميثاق حساب « الانسان » باعتباره قاسما
مشتركا فى كل عمل ، وباعتبر الثورات الاجتماعية والسياسية
والثقافية قد قامت من أجله ولرفاهيته ولتطوره •

من أجل ذلك كله حرص الميثاق على تثبيت القيم
المعنوية : الروحية والانسانية والخلقية ، لأنه رأى أن هذه
القيم هى التى تحدد المسئولية والالتزام الأدبى والرقابة
الذاتية ، ويرى فى ذلك وسيلة للخروج بالثورة من حيزها
الضيق الى مجموع الشعب ، لكى يصبح الشعب حارسا لها ،

وحفيظا عليها ، ومؤتمنا على مكاسبها ضد عادات الزمن
وانتكاسات التطور .

ان الميثاق اطار شامل لحياتنا ، بما فيها من أهداف ،
وبما يحدد أسلوب العمل لتحقيق هذه الأهداف .

ولقد استبان من الميثاق أن أيديولوجيتنا ليست مادية
موغلة ، انما هي ذات أسس معنوية ، ذات مثل عليا ، ذات قيم
أدبية .

ولقد تتبعنا هذه الجوانب ، فاذا هي مستمدة من ماضي
كأمة لها تراث عريق ، ومن حاضرتنا كأمة ذات فكر مفتوح
خلاق ، ومن مستقبلنا كأمة تتطلع الى التطور بلا عقد وبلا
تعصب ...

« ابراهيم بسيونى »

طبيعة العصر... ودور شعبنا فيه

لا جدال في أن عصرنا هو عصر «المجد العلمي» — ويمكن أن يزهو العلماء بأن في قدرتهم أن يهيئوا أسباب الراحة والترف لأنسان العصر وأن يوفروا وقته وجهده وأن يسبقوا عليه الصحة والعافية ، بل أن في مقدرتهم أن يسخروا ظواهر الطبيعة لمصلحته ومنفعته ، فهي استطاعة العلم اليوم أن يذيب الجليد في أقاصي القطب ، وأن يسقط الغيث فوق رمال الصحراء ، وأن يستخرج من ماء المحيط الأجاج ماء عذبا فراتا ، وأن يحيل مناطق الجفاف والبار إلى منابع للخير وال عمران بما يستكشفه في باطنها من زيت ومعادن .

بل يمكن أن نذهب في اعترافنا بأمجاد العلوم إلى أن نشيد بعظمتها الخارقة في كشف مجاهل الكون واختراق القشرة ، التي كانت تحدد سلطان الانسان ، إلى آماذ بعيدة في الفضاء الرحيب ، ومحاولة الوصول إلى الافلاك والابرار العليا وكشف طبيعة الحياة والاحياء فيها ، بل أمكن لرواد الفضاء أن يشهدوا في لحظات خاطفة تعاقب الليل والنهار ، وأن يعبروا يابس الأرض وماءها بأسرع مما كان يحلم به خيال الشعراء وأرباب الفنون .

ولكن ...

أحق لنا ، ونحن نسلم بهذه الانتصارات العظيمة التي وصل
اليها مجد العلوم ، أن تتساءل في هدوء وبلا تسرع ... هل
انسان هذا العصر سعيد ؟

هل حقق لبنى جنسه سعادة ما ؟ هل هذا الانسان
الذي حقق كل هذه الأمجاد قد حقق السلام بينه وبين ذاته ؟
ثم هل حقق سلاما بينه وبين اخوته من البشر ؟ هل هو ذائق
لحقائق ما في الكون من جمال ومحبة وخير ؟

ان هذا الانسان لا يمسي أو يصبح الا وقد أجهد الجسم ،
والعقل جريا وراء سلاح جديد أشد هولا وأعظم فتكا مما
توصل اليه أخوه .

الانسان - حقا وصدقا - قوى العضل ، سريع الخطو ،
واسع الأفق ، نفاذ البصر ... لكنه - مع الأسف - مفكك
النفس موصول الجزع ، غير جدير بأن يحمل أمانة السلام
في الأرض ، أو أن يمهد لسبل الرخاء .

لقد دفعته حياته هذه الى أن يخوض حربا بعد حرب ،
كأنما يجد في الحروب دفعا لسأمة وعلاجا لمشكلته ، ووسيلة
لطمأنينته .

وأي شاب في مثل أعمارنا لو توقف ليتمهل ويستعرض
حاله لألفى عجبا ... لقد ولدنا إبان الحرب العالمية الأولى أو

في أعقابها ، ثم عشنا تجربة الحرب الثانية واكتوينا بنارها
ولفحنا لظاها ، ثم هانحن أولاء الآن نتوقع يوما بعد يوم ، بل
ساعة اثر ساعة ، اندلاع الحرب العالمية الثالثة ، التي لن تبقى
ولن تذر ، ولن تعرف مهزوما أو منصورا ، لأن من يحيا على
ظهر هذا الكوكب بعدها سيحيا وقد لوثت الاشعاعات دمه ،
وشوهت خلقته - وهدت حيويته .

هذه الحروب التي تتالت وتتابع ، لقد أزهدت روح
الشيخ والشباب والمرأة والطفل ، وسممت منابع الجمال ،
وخلفت فوق قباب المساجد والكنائس دخانها الأسود ، وأرسبت
فوق المتاحف وآيات الفنون التي تركها الأجداد ركامها المقيت
الداكن ، وهدمت المدرسة والمصنع والدار ، وحصدت المزرعة
وأكلت اليابس والأخضر .

والانسان - في عصر المجد العلمي !! حائر متعثر ،
يستعيد هذه الصور القاتمة ويحتضن أطفاله في جزع ... ثم
يمضي ... يمضي لينكب يوما جديدا على المادة ، يمعن في
الوصول الى سر أسرارها ، ويستغرق في تحطيمها الى أدق
مكوناتها ، آملا في أن تقبض يدها على آلة جديدة للتدمير ،
أشد ضراوة مما عرف أخوه في الطرف المقابل للارض ، كأنه
بذلك يزداد أمنا واستقرارا .

وهكذا ... وحتى يحين موعد الحرب القادمة التي
يترقبها انسان العصر يحيا هذا الانسان في حرب نفسية أشد

قسوة من الحرب الساخنة ، لأنها توهن العصب في بطن ،
وتؤرق الجفن أثناء الليل وأطراف النهار ، وتوتر الحياة ، وبدلاً
من أن تهدى الناس إلى الخبز والزبد ، تدفعهم إلى حشد
ما يستطيعون من جهود مادية وفكرية وإلى التسلح بسلاح جديد
لم يسبق له نظير حتى أن طائرة واحدة تستطيع أن تحمل
الآن طاقة مدمرة تعادل مجموع ما ألقى في الحرب الأخيرة من
طاقات الدمار .

وهكذا - أيضاً - صار ما يفصل بين الإنسان وأخيه
أشبه بجو صناعي التنفس فيه غير طبيعي والهدوء مصطنع ،
وأفكار السلام تولد ميتة ، وفكرة الذرة في خدمة السلام
توآد وهي في المهد ، وفكرة تحرير الشعوب المغلوبة ماتلت أن
تعلو حتى تخفت أنفاسها ، ومؤتمر الأقطاب لا يكاد يجتمع حتى
ينفض وهكذا صارت كل نداءات الخير مغطاة بقفاز من حرير ،
ما إن ينخلع حتى يبدو شيء أسود فاحم رهيب .

لقد أخفقت كل الجهود في اذابة طبقات الجليد التي تغطي
بها الحرب الباردة كل بقعة من بقاع الأرض .

وأخفقت كل الآمال في تحويل الانتصارات العلمية إلى
ما يحقق رفاهية الإنسان .

فهل يمكن وسط هذا الجو الصناعي أن تحيا القيم الثابتة ،
وأن ينتشر غير الحب والعدل والرخاء ؟

أكبر الظن لا •

لأن الأرض الفاصلة بين الإنسان وأخيه تطوى من تحت
ترابها يوما بعد يوم نارا جديدة ، والبحر الذى يقفان على طرفيه
يبتلع جوفه كل ساعة آلة جديدة للدمار تترقب إشارة
الانقضاء •

الحق أقول ... ان انسان المجد العلمى غير خلىق بحفظ
تراث البشرية فضلا عن ترقيته •
ولقد صدق الرئيس جمال عبد الناصر حين قال فى عيد
العلم الخامس :

«ان العالم قد مضى بعيدا فى مجالات القوة وزيادة الانتاج
فى حين تقاعد فى المجال الروحى والمعنوى عن المضى الى نفس
البعد ، وان أبرز سمات الأزمة فى عالمنا اليوم أن طاقاته المادية
غلبت طاقاته الروحية وأصبحت عضلاته أقوى من عقله » •
ذلكم هو التشخيص الصحيح لأزمة عالم اليوم •

ثم استمع الى الرئيس مرة أخرى وهو يقول فى مناسبة
مماثلة :

« اذا كان من بشائر التطورات الأخيرة فى الميدان الدولى
أن ثمة وعيا كبيرا اليوم للأخطار التى تتعرض لها البشرية كلها
اذا ما استعملت هذه القوى الهائلة الجديدة بطيش ورعونة

وبدون ضابط من القيم الروحية والمعنوية ، فإن علينا أن نعى
عظة هذا التطور وأن نستفيد منه داخل مجتمعنا ، ذلك أن قوة
التقدم العلمى والقوة الناشئة من زيادة الانتاج يمكن أن تصبح
مصدر خطر مالم تستطع القيم الروحية والمعنوية أن تسير
خطاها بل تسبقها لتمهد لها • »

والعلم فى المعامل ضرورة والعلم فى المصانع ضرورة ولكن
العلم فى قلوب الناس وضماثرهم من ألزم الضرورات • »

ان صوت الرئيس وهوينبه الى خطورة الحال أشبه
بصوت الضمير الانسانى العام الذى يفزعه أن تتبدد أحلام
الناس وآمالهم فى الحق والخير والسلام نتيجة لأطماع حفنة
من القادة العسكريين وتجار الأسلحة الذين لا هم لهم الا تسخير
العقل الانسانى الجبار - الذى هو قبس من فيض الله - فى
الفتك والتدمير والخراب •

تلك هى الأزمة

فما دور شعبنا بين تياراتها ؟

ان شعبنا كما يقول الميثاق :

« يعتقد فى رسالة الأديان ، ويعيش فى المنطقة التى هبطت
عليها رسالات السماء ، ويتناضل من أجل المبادئ السامية » •
ولقد حملتنا هذه الرسالات أمانة الوسيط ، وساعدنا

موقعنا المتوسط بين قارات العالم ، وبين مناخاته ونباتاته وبحارہ
في كل من المنطقة الحارة والمنطقة الباردة ، على أن نحمل هذه
الامانة عبر العصور .

فمساحة الوطن العربي ١١.٥ مليون كيلومتر مربع يقع
٢٨٪ منها في آسيا و ٧٢٪ منها في افريقيا - ويصل تعداد
سكانه الى نحو ٨٢ مليوناً من البشر ، يعيش ثلثهم في آسيا
ويعيش ثلثا هذا العدد في أفريقيا ، وقد اضطلع هذا الشعب
بأدوار فضالية وفكرية وانسانية في العصر القديم والعصر
الحديث ، منذ كانت على جانبي النيل حضارة ومنذ حملت
الهجرات الاسلامية أفكارا ، ومنذ نشرت القبائل العربية نظاما ،
الى شمال افريقيا وغربها وشرقها حتى وصلوا الى مناطق
البحيرات وسط القارة ، ومنذ امتدت قوافل التجارة الاسلامية
الى الهند واندونيسيا فانتشر معها الاسلام بلا حملة بحرية
عسكرية واحدة ! ! وليست حركات الانتفاضات منذ الحرب
العالمية الاولى في هذا الوطن الا تكملة للحركات السياسية
والاصلاحية والدينية التي تنادى بالتححر وترفض الخنوع
والتبعية .

فدور العرب في معركة التححر الافريقي الآسيوي انما
نشأ عن أسباب مادية هي الموقع والمناخ والاتصال التجاري
والتزاوج ، وكذلك نشأ عن أسباب معنوية هي المشاركة
الوجدانية والمصير الواحد .

والعربي قد شارك بطريق مباشر وغير مباشر في مقاومة الاستعمار منذ هبطت أقدامه لأول مرة في عصر الكشف الجغرافية ، ثم تنالت من بعد ذلك الاساطيل الغازية ، ثم تحولت اتقارتان العتيدتان الى مصادر للطعام والمواد الأولية اللازمة لحياة الرجل الأبيض والآلات الصناعية المسخرة لرفاهيته ، ثم تحولتا أخيرا الى سوق لتصريف منتجاته ، وكتب عليهما في سبيل ذلك التخلف والفقر والجهل والمذلة والمسكنة .

شارك العربي في ذلك كله واحتمل مع شعوب القارتين بمقدار ما يطيق ، فلقد كان القطن المصري أعظم الخامات أهمية لدى مصانع يوركشير ولانكشير وكانت قناة السويس شريان الحياة لدول أوربا ، وكلنا يذكر كيف استحوالت الآلات والمصانع هناك عند اغلاقها عام ١٩٥٦ الى كتل من الحديد الهامد .

وكره العربي الاستعمار ربيب الرأسمالية وابنها الشرعي ، كرهه في صورة الجيوش المحتلة ، وفي صورة حركات التبشير ، وفي صورة الوجوه المقنعة للأذنان والعملاء . . . وتطلع مع شعوب العالم المضطهدة الى أن يمسح آثار أقدامه السوداء من فوق كل شبر على ظهر الأرض ، وأشعل نار الحقده عليه باعتباره أقدر جريمة في حق الانسان !

والعربي يؤمن بالانسان . . . باعتباره أكرم مخلوقات الله .

وإيمان العربى بالانسان ينبى على أساس قويم ، يؤمن به كروح من فيض الله • وجسد يستحق التكريم لأنه وعاء لهذه الروح

وكل نظر للانسان بغير هذه الثنائية زيف وباطل ، بل ان أزمة عالم اليوم — كما أوضحته في صدر هذا الفصل — انما ترجع الى انكار هذه الثنائية •

ولو قد أتيح للانسان أن يرتاد هذه المنطقة المجهولة في كيانه بنفس الحماسة والقوة اللتين يرتاد بهما آفاق الكون المجهولة ، ولو ضاعف طاقاته المعنوية بنفس القدر الذى يضاعف به الأرقام في معادلات الوقود ، لوصل الى أعظم النتائج وأخطرها ••• انه ساعثذ سيدرك أن النظرة المادية المسرفة للانسان وللتاريخ وللحياة قد كلفته ثمنا غاليا ••• لأنها حرمتة الأمن والقرار ، والسعادة والصحة النفسية والأمل في الغد وكرامة الفرد •

ان شعبنا قد قام فى الماضى بدوره كجهاز استقبال لرسالات السماء وهو اليوم مطالب بأن يقوم بدوره كجهاز ارسال لاشعاعات الروح ، وسيأتى اليوم الذى يقر فيه الانسان باحتياجات الروح مثلما يقر باحتياجات الجسد وان الاضطراب فى الوفاء باحتياج كل منهما يحدث فى حياته الاضطراب والتلف مثلما يحدث أدنى خلل بين عمليات الهدم والبناء فى بروتوبلازم الخلية الحية •

وليس معنى نداءاتنا باحترام المطالب الروحية أننا نريد
للإنسان أن يفر من الدنيا إلى الفيافي والقفار ليتزهد ويترهب
... إنما نريده أن يتوسط وأن يعتدل ، فلا ينكب على المادية
والغريزة ، ولا يسرف في السلبية والتقاعس عن مواكب الحياة .

ذلكم هو السر في قوة الشخصية العربية ، أننا « أمة
وسط » .

ولقد منحتنا هذه القوة إيماناً اهتزت أمامه أعنى
الجيوش ... أن التاريخ يحدثنا كيف اتسع المد المغولي في
أصقاع الأرض ولكنه لم ينحسر إلا عند أرض العرب ،
والتاريخ يحدثنا كيف صدت جيوش الصليبيين عن عتبات
القدس الطاهرة ، ويحدثنا كيف انهزمت جحافل بريطانيا
وفرنسا وإسرائيل عام ١٩٥٦ أمام شموخ شعبنا ونضاله
الباسل ... ولا يمكن أن تكون القوة المادية وحدها هي التي
كفلت النصر ، ذلك لأن العدو في كل حالة من هذه الحالات
كان أكثر عدداً وعدة منا .. ولكن العامل الأساسي في ذلك
النصر كان مبعثه دائماً أننا أهل مبادئ ، أهل حق ، وكان
عدونا على العكس من ذلك ، مصاصا للدماء حقودا ، مغتصباء ،
ولا أعتقد أن أحدا ينسى كيف تجمع الشرفاء في كل مكان
لنصرتنا ، وكيف ارتفعت - حتى من بين بلاد أعدائنا - أصوات

تنادى بمؤازرتنا وبنصرتنا وبحقنا ، وإذا الوضع ينعكس -
على حد تعبير الميثاق - فيصبح عدونا وحده في المعركة .

السر الكامن في الشخصية العربية أنها تنتصر لكل القيم
الانسانية والخلقية والروحية ، لا من أجل ذاتها أو على أرضها
فحسب ، بل في كل مكان من العالم أيضا ، بلا تفرقة في الجنس
أو اللون أو العقيدة .

دعوتنا دعوة للانسان ، الانسان بعد أن يخلع عنه تاج
الزهو ، بمجده المادى ، ويصبح هذا المخلوق البسيط الظامىء
الى السعادة ، المتلهف على الحياة الباسمة الهادئة بين أسرته
وفي حديقة داره يلعب أبناءه الصغار ، ويتطلع معهم الى غد
مشرق جميل ، لقد تصالح مع نفسه ، وأشاع السلام في
حناياه ... وعندئذ يود لو يحقق السلام بينه وبين المحيطين به
بلا أنانية أو مكر أو خداع ..

ولا تحسبن هذا التصور لحياة الانسان البسيط السعيد
ضربا من المستحيل الا في بيئة انطمت فيها المثل وعميت فيها
القلوب وأجدبت فيها الأرواح .

* * *

من أجل ذلك كله جاء الميثاق ، وكل سطر فيه يحفل
بهذه النزعة - نزعة تغليب المثل العليا وتفوق المعانى الخالدة ،
وكان طريقه في ذلك عجبا فهو لم يعمل في هذا الاتجاه الى حال

يرضى العالمين ، ولم يهبط باحترام الماديات الى حال يتملق بها
الغرائز ويرضى بها الماديين بل كان ينبوعا صافيا من
فطرة هذه الأمة ... وسطا واعتدالا .

وحق القول بعد ذلك أن تصبح ثورتنا العربية دعوة
انسانية تخطط للمعنويات بنفس الكفاية والقدرة والاهتمام
والحماس التي تخطط بها للجوانب المادية في الحياة .

وحق القول بعد ذلك أن الميثاق - وهو محصلة تجارب
شعبنا عبر الآلام والآمال في مسير التاريخ الطويل - هو رسالة
الى كل عربى ليمنسح عن جبينه وصمة التخاذل والضعف
والاستسلام ، والجمود والجهل ... ليصبح بين تيارات هذا
العالم المضطرب داعية خير ورسول سلام .

القيم الروحية في الميثاق

نقصد بالقيم الروحية تلك المعاني المطلقة الثابتة التي أتت بها الأديان وهي للروح غذاء وشفاء ، وكما يحتاج البدن الى عناصر معينة كالفسفور والكلسيوم والحديد ونحوها لكي يكتمل نموه - وكما أن نقص واحد من هذه العناصر تنشأ عنه أعراض خاصة قد يتبعها السقم ثم الموت ، فكذلك الحال بالنسبة للغذاء الروحي ، ولهذا فإن المعاني الروحية ليست ثانوية القيمة اذا ما اصطلحنا على التفسير الثنائي في فهم التكوين الصحيح للانسان .. ان الغذاء الروحي مدد الهى تتطلع اليه وجدانات الناس في لحظات الضيق كي يفرج الله الشدائد ، وفي لحظات النعمة شكرا لمن أنعم .

وليس هذا فقط ، فان للقيم الروحية جانبها العملى السلوكى ، الذى يصفى النفس من أدران الحقد والكراهية ، وينعش فيها التيقظ والمحاسبة .. فإذا ما صفت النفس من شوائبها ، واستقبل الفرد المجتمع ، تأسست بينهما علاقات نظيفة ، لا أثر فيها للانانية أو البغض أو الانتهازية ونحوها من الأعراض والأمراض .

ذلك هو التدين السليم ، انه عقيدة منظمة لحياة الفرد والجماعة ، وكل خطأ يرتكب في حق الدين انما ينشأ عن محاولة حبسه في حدود الفرد وتقلصه داخل هذه الدائرة الضيقة بدعوى أنه مسألة شخصية وتلك وسيلة تصطنعها الأفكار الهدامة لقتل الدين وحصر نفوذه وتبديد قواه .

ولهذا فان العلاقة بين الانسان وأخيه في مثل تلك الأجواء لا تتعدى في قوتها الواشجة القائمة بين شياخ القطيع الواحد ، وباستقراء الميثاق يمكن أن نجد التدين أهم الحوافز النبيلة لخدمة المجتمع واطراد تقدمه :

« اذا كانت الأسس المادية لتنظيم التقدم ضرورية ولازمة، فان الحوافز الروحية والمعنوية هي وحدها القادرة على منح هذا التقدم أنبل المثل العليا وأشرف الغايات والمقاصد » .

وباستقراء الميثاق كذلك ، يمكن أن نجمل الحديث في القيم الروحية في النقاط التالية :

١ - الإيمان بالله ضرورة للفرد والجماعة .

٢ - الاعتزاز بالتراث الروحي .

٣ - فهمنا لحقيقة الدين وجوهره .

٤ - اشتراكيتنا مؤمنة .

١ - الايمان بالله

ويصفه الميثاق :

« بأنه ايمان لا يتزعزع بالله وبرسله ورسالاته القدسية التى بعثها بالحق والهدى الى الانسانية فى كل زمان ومكان » •
« ان الطاقات الروحية التى تستمدّها الشعوب من مثلها العليا النابعة من أديانها السماوية أو من تراثها الحضارى قادرة على صنع المعجزات » •

« ان الطاقات الروحية للشعوب تستطيع أن تمنح آمالها الكبرى أعظم القوى الدافعة ، كما أنها تسلحها بدروع من الصبر والشجاعة تواجه بها جميع الاحتمالات وتقهر بها مختلف المصاعب والعقبات » •

« ان شعبنا يملك من ايمانه بالله وايمانه بنفسه ما يمكنه من فرض ارادته على الحياة ليصوغها من جديد وفق أمانيه » •
وقبل أن نمضى فى تحليل فكرة الايمان بالله فى ضوء الميثاق نلفت النظر الى نوعين من التفكير يسودان عالم اليوم •

أحدهما : التفكير المادى وله اتجاهان :

أ - الاتجاه الميكانيكى •

وهو لا يرى وجودا للروح أو العقل ، وبالتالي لا ينسب

لأى منهما تدير الجسم •

ب - الاتجاه الديالكتيكي •

وهو المذهب المادي الماركسي •

ويرى وجود العقل والروح ولكن وجودهما بعد وجود المادة وتابع لوجودها •

ومعنى ذلك أنه إذا فُتيت المادة فلا بقاء للروح أو العقل ••
والله لأنه خال من المادة ، فلا وجود له •

والثاني : التفكير الروحي :

وهو يرى وجودا للروح ولكنه سابق على المادة وليس متوقفا عليها ، ولذلك يقول بالله كعلة للكون •••• وهذا الاتجاه يقابل الاتجاه الاول بقسميه •

واذا - فبادىء ذي بدء - قد حدد الميثاق اتجاهنا الفكرى وسط اتجاهات العصر ، وان أساسه الايمان الثابت بالله وبكتبه ورسله ثم يرى الميثاق ايمانا بلا تعصب ، لأنه « لا اكراه فى الدين » ولأن جوهر الأديان واحد هو الحق والهدى والخير للانسانية جميعا ، وان تشويه هذا الايمان باسم التعصب الدينى يبعد الدين عن هذا الجوهر الصافى النقى ، ونحن قد ورثنا سماحة التدين عن أسلافنا ، فقد وقف المسيحي بجوار المسلم على أرض العراق ليحاربوا معا النفوذ الفارسي ، ووقف المسيحي بجوار المسلم كتنفا الى كتف ليصدوا معا أول

موجات الاستعمار الأوروبي التي « جاءت مستترة وراء صليب المسيح وهي أبعد ما تكون عن دعوة هذا المعلم العظيم » .

ان المسيح لم يكن ذات يوم الا داعية وئام ورسول محبة وبشير سلام ، وقد استغل الاستعماريون اسمه ليخفوا حقيقة مغامراتهم ، وقد لاحظ فريدمان : « ان اسبانيا كانت تخفي أطماعها الاستعمارية أيام مجدها السياسي تحت ستار الكشكة التي كان يتزعمها جماعة اليسوعيين المكافحين بنظامهم الحديدي وان فرنسا قامت بكل فتوحاتها باسم المدنية ، وأما الامبراطورية البريطانية فقد قامت على الجمع بين التجارة والحروب البحرية والاستعمار ، ولم تؤيدها القوة فحسب بل أيضا الجمع بين الحماسة الدينية والرغبة الملحة في التجارة اللتين جعلتا في نظر (البيورتان) الانجليز ، الاستعمار ، واستغلال البلاد الاجنبية رسالة ، ومنصذر ربح كذلك » .

بل ، ان الصهيونية تحاول الاستتار تحت الدين ، ولكنها في حقيقتها مذهب سياسي استعماري ، والصهيوني هو كل من يروج لهذا المذهب بغض النظر عن عقيدته الدينية ، فتشربل ، وترومان من غلاة الصهيونية وان كانا مسيحيين .

والايمان بالله يسلح المؤمن بطاقة ذاتية تفوق كل ما يحصل على كتفيه وحول جنبه من سلاح .

وليس أدل على ذلك من المهاجرين والانتصار الذين التفوا

حول الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وقد تركوا الأهل والدار ، والزوج والولد ، والمال والعقار ، وخرجوا ليخوضوا معه معركة غير مأمونة العواقب ، وعدوه كثير كبير ، وضمانات النصر المادى غير مكفولة ... ولكن الايمان بالفكرة قد منحهم صلابة وشوكة وقوة أعادتهم على الصمود ، غزوة بعد غزوة ، حتى كتب الله لهم النصر •

ولو افترضنا - كما يحلو لجولدزيهر وغيره أن يزعموا - أن غرض هؤلاء المحاربين كان ماديا اقتصاديا - لكان سقوط أحدهم صريحا في أرض المعركة كافيا لتشيط الهمة وتبديد الصف وانقضاء المغامرة وفرار المغامرين !!!

ولكنها جذوة جذوة مشتعلة من قبس الهى •

ثم اليك مثالا قريب العهد بنا - هؤلاء الفتية من شبابنا الذين ذهبوا عام ١٩٤٨ الى أرض فلسطين ، قبل أن تدخلها الجيوش النظامية ، كانوا يندفعون نحو الارض المقدسة كأنهم على موعد مع الجنة فوق سهولها ووديانها ، وفي حين كان بعض الحكام العرب يحكون خيوط المؤامرة الرهيبة لآخس خيانة لهم يعرفها التاريخ منذ يهوذا الاسخريوطى كانت الجذوة المقدسة فى صدور الفدائيين تشتعل نارا وتقوى نورا ، وكان الصوت الآتى من خلف الوهاد والهضاب يهتف بهم أن يقاتلوا ويقتلوا ... وكانت أعظم أمانيتهم أن تختلط دماؤهم بتراب أرض الأنبياء •

كذلك مازال العهد قريبا بهؤلاء الفتية من شبابنا على
خفتى القناة وكيف كان مجرد تسلل أحدهم الى معسكر ضخم
من معسكرات الاحتلال نذيرا بابتلاع الأرض له ، فأرق جفن
المستعمر ، واختلت موازينه ، وتنغص عيشه ، وحمل عصاه
ورحل ♦♦♦♦

ثم لماذا نذهب بعيدا ، ومازالت وقفة جمال عبد الناصر
في الجامع الأزهر ذات يوم من أيام عام ١٩٥٦ حين أقبلت قوى
البغي والخسة تملأ البر والبحر والجو ♦♦ ولو أخذ أحدنا
بظاهر الأمور المادى لراوده الشك في النصر ولا نبهت عليه
النتائج ، ولضاع شعاع الأمل وسط ضباب اليأس ♦♦♦♦ ولكن
الشعب المؤمن رأى قائده المؤمن وقد ازدادت ابتسامته تألقا
واتساعا كما رأى القائد في شعبه صلابة العناد ، وحدة العزم ،
وكأنما كان القائد والشعب يتخاطبان معا بلغة غير مسموعة ،
ليكتبا معا اتفاقا جبارا عنيدا كان كل منهما يستمد من الآخر
عزيمة واصرارا ، وهذا موقف نادر الحدوث ، في التاريخ ، لن
تجده الا في تاريخ الابطارة والأكاسرة لا ♦♦ ولا في تاريخ أعظم
النهاتحين كالاسكندر أو قيصر أو نابليون ♦♦♦ أنه لا يحدث
الا بين الدعاة وأصحاب الرسائل وبين أممهم حين يدلهم الخطر
وتحقق المكاره ♦

هكذا خضنا الحرب ♦♦ مرتين في عام واحد ، وكان النصر

حليفنا ، واذا سألتني عن السر في ذلك أجبتك بكلمة واحدة
لا تعليق بعدها

« الله أكبر !! »

لا قيمة للتعبد من صلاة وزكاة وحج ونحوها اذا خلت
من صدق النية وقوة الباعث القلبي .. فالقلب في الشريعة
والعقيدة مناط النية ، والأعمال بالنيات ، واذا ما اعتاد القلب
الصدق في التعبد نشأت لديه يقظة ملهمة أشبه بالرقيب الداخلي
الذاتي على كل أعماله في السر والعلن منفردا ، ومع الناس ، وهذا
في تقديري أروع ما يمكن أن تقدمه الأديان للمجتمع لأنه اذا
احتكم الانسان في علاقاته الاجتماعية ، وفي مسئولياته الى هذا
الرقيب الذاتي انضبطت أعماله وكبحت جوامحه ، وهدأت
سورته ، وراعى حقوق العمل وحقوق الناس ، ولو أنت أنعمت
النظر في بعض النقائص الاجتماعية كالاهمال والرشوة
والمحسوبية والتبذير لعلمت أن السر فيها يعود الى نقص الوازع
الذاتي ، ذلك لأن رقابة الحكومة تقتصر على ظاهر السلوك ،
وجزائها معجلة في هذه الحياة الدنيا ، وفي الامكان أن يستتر
الشخص وان يتقن استتاره وأن يفلت من يد القانون ... أما
الدين ... أما الايمان بالله أما الضمير .. فتلك أمور
تتعلق بالحياة الباطنية وجزائها لا تقتصر على عالم الواقع
بل تمتد الى الحياة الأخرى

ولذا فان كل جهد يوجه لتنمية هذه المشاعر الذاتية انما
ينعكس على التصرف الاجتماعى ويهذب ويوجهه الى الخير
العام ..

« وهذا هو ماعناه الميثاق بالحوافز النبيلة التى تؤدى الى
أشرف الغايات » .

ان الايمان بالله ضرورة من ضرورات الصحة النفسية .
لأن الانسان اذا أقبل على الحياة ، وما زالت تؤرقه الحيرة ،
وتتقاسمه الشكوك ، لا يمكن أن يؤدى عمله بطريقة قويمه
سوية ...

والمسائل الميتافيزيقية ، كالروح والموت والبعث واليوم
الآخر ، لا يمكن أن تخضع للتفسير المادى لأنها بطبيعتها غيبية
فوق الحس البشرى ولهذا فان امتلاء القلب بالايمان يهتدىء
من حيرته واضطرابه ، ويكون اقبال الانسان على المجتمع بعد
ذلك ، والتفاعل مع أفرادہ ، على نحو صحيح سليم .

٢ - الاعتزاز بالتراث الروحي

« ويكفى أن الأمة العربية تحمل وحدة اللغة التي تصنع وحدة الفكر والعقل ، ووحدة التاريخ التي تصنع وحدة الضمير والوجدان . ووحدة الأمل التي تصنع وحدة المستقبل والمصير » .

« وفي اطار التاريخ الاسلامي ، وعلى هدى من رسالة محمد صلى الله عليه وسلم قام الشعب المصري بأعظم الأدوار دفاعا عن الحضارة الانسانية » .

« وعى عميق بالتاريخ وأثره على الانسان المعاصر من ناحية ومن ناحية أخرى لقدرة هذا الانسان بدوره على التأثير في التاريخ » .

« فكر مفتوح لكل التجارب الانسانية ، يأخذ منها ويعطيها ، لا يصددها عنه بالتعصب ، ولا يصد نفسه عنها بالعقد » .

« ان الاقناع الحر هو القاعدة الصلبة للايمان ، والايمان بغير الحرية هو التعصب ، والتعصب هو الحاجز الذي يصد كل فكر جديد ويترك أصحابه بمنأى عن التطور المتلاحق ، الذي تدفعه جهود البشر » .

ذلك هو منهجنا في تناول التاريخ ، وتقديرنا لأصالة تراثنا
الروحي ومدى استجابتنا لكل فكرة طيبة من شأنها إعلاء
الإنسان .

ان لنا رصيда ضخما من الأفكار العظيمة ، ولا يمنع ذلك
من أن نفتح أدمغتنا لكل تطور خلاق يتواءم مع طبيعتنا
ويتناسب مع ظروفنا .

وقد لخص الميثاق منهجنا في ذلك في أصليين :

بلا تعصب وبلا عقد

ان التعصب جمود وتوقف وسلبية ، ولقد أفسح ديننا
صدره ليتسع لكل اتجاه حق مادام الايمان بالله واليوم
الآخر والعمل الصالح من مقومات هذا الاتجاه ... قال تعالى:
« ان الذين آمنوا والذين هادوا والنجاري والصابئين
من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا - فلهم أجرهم
عند ربهم » .

وقال تعالى :

« لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ، ولو شاء الله لجعلكم
أمة واحدة » .

وفي القرآن الكريم اشارات بتمجيد الرهبان النصارى ،
والاشادة بما بينهم وبين المسلمين من مودة ورحمة .

والسيدة. مريم ذات قدر عظيم في القرآن يفوق قدرها
في بعض الطوائف المسيحية .

وليس هنا مقام التوفيق بين الأديان إنما أحبت أن أنوه
بما حرص الميثاق عليه من حرية العقيدة ، مادامت هذه الحرية
تقصد الى اتاحة الخير وتحقيق السعادة لبنى الانسان .

وابن عربى من مشاهير المفكرين المسلمين يرى وقد نقد
بوجدانه الى جواهر الأديان جميعا ، أن المحبة أصلها الأصل ،
وغايتها القصوى ، يقول :

لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبى
إذا لم يكن دينى الى دينه دانى

فقد صار قلبى قابلا كل صورة
فمرعى لغزلان ودير لرهبان

أدين بدين الحب أنى توجهت
ركائبه ، فالحب دينى وايمانى

ومن الاسف الشديد أن بعض العرب قد تأثروا بالأعيب
الاستعمار فى محاولة ايهام الناس أن الدعوة للقومية العربية
تحمل فى مضمونها تعصبا للاسلام وهم يريدون بذلك أن يفتتوا
هذه القوة القومية بطريق الطائفية ، والحقيقة أن الوجدان

العربي والوطن العربي قد اتسعا للأديان الثلاثة الكبرى فأرض
العرب مهبط هذه الديانات ، والتسامح الديني خصيصة عربية
أصيلة تحدث كل الأباطيل •

والتاريخ العربي يحدثنا كيف حارب عرب الحيرة المسيحيون
الى جانب عرب الجزيرة المسلمين ضد الامبراطورية الفارسية ،
وقاتل العرب الفساسنة النصارى جنبا الى جنب مع عرب الجزيرة
المسلمين ضد الامبراطورية البيزنطية .

وفي تاريخنا الحديث نرى كيف تعاون النصارى والمسلم
في بث الوعي القومي وتعميق جذوره ، فقد بدأ هذا الوعي يجند
ضد الاستعمار التركي على يد بطرس البستاني و ابراهيم اليازجي
المسيحيين ، وكانت أول جمعية عربية تكونت لمحاربة الاتراك
العثمانيين هي « الجمعية العلمية السورية » التي أسسها بطرس
البستاني عام ١٨٥٧ وكان يعمل فيها جنبا الى جنب العرب
المسلمون والمسيحيون على السواء ، ولما قامت الثورة المصرية
عام ١٩١٩ قامت على اشتراك جميع المواطنين مسلمين ومسيحيين
ذهبوا سويا يطالبون بالاستقلال ويموتون في سبيله ، ولما
بدأت المراسلات بين الشريف حسين شريف مكة وبين بريطانيا ،
للاتفاق على حدود الدولة العربية قبل قيام الثورة العربية عام
١٩١٦. رفض العرب التخلي عن ولاية بيروت التي أرادت بريطانيا
فصلها عن الدولة بحجة أن معظم سكانها مسيحيون ، واستند

العرب في ذلك الى أن سكان الولاية عرب لا يفرق بينهم الدين
مادامت تجمعهم القومية العربية .

ومما يؤيد ذلك أخيراً ما قرأه في مقررات المؤتمر الثقافي
العربي الأول الذي انعقد في بيت مري بلبنان سنة ١٩٤٧ (أن
العروبة لم تكن في الماضي ولا في الحاضر مقصورة على طائفة من
الطوائف أو دين من الأديان ، وأن التعاون بين المواطنين العرب
على تفاوت أديانهم - كان قويا في الماضي كما كان كذلك في النهضة
العربية الحديثة ، ولم يفرق اختلاف الأديان بين العرب الا في
العصور التي سادها الحكم الاجنبي ، لهذا ينبغي العناية بـ
روح التضامن والتعاون بين مختلف الطوائف واشعارهم بأنهم
أخوة وأن من واجبهم أن يضعوا الأهداف القومية فوق
الاعتبارات الطائفية) .

وجاء في توصيات مؤتمر المعلمين العرب الذي عقد في
الاسكندرية عام ١٩٥٦ ما يلي :

(أن يعمل المعلمون فيما بينهم على أن يجنبوا أنفسهم
ويلدوهم مساوئ التعصب الطائفي والخلافات المذهبية التي
يحرص الاستعمار على توسيعها) .

ونحن نقاوم التعصب الجنسي بنفس الحماس الذي نقاوم
به التعصب الديني ومن أجل ذلك نقف ضد التفرقة العنصرية
ونعتبرها عملاً يشين بكرامة الانسان ... والواقع أن التفرقة

على أساس الجنس مسألة خاطئة من الناحية العلمية ومن الناحية التاريخية .

فمن الناحية العلمية أن الخلط بين الجنس والثقافة لا أساس له لأن الجنس خاصية بيولوجية والثقافة خاصية فكرية .

وإذا كان أصحاب هذه الفكرة يدللون بتفوق العنصر الأري في صنع المنتجات والمخترعات ، فإن واقع التاريخ يقول ان الجرمان كانوا في فترة طويلة من تاريخهم أمة بربرية تحيا اذا قيست بالنسبة لغيرها ، في مستوى الحضيض فأين مدنية الجرمان الأقدمين بالقياس الى معاصريهم من المصريين أو الصينيين أو الآشوريين !!! ???

أما الاصل الثانى فى تمثلنا الحضارى فهو أننا نفتحنوا فذنا للشمس للأفكار الأخرى بلا عقد .

فما دمنا نملك تراثا روحيا مرموقا كان له أثره فى رقعة تمتد من مشارف فرنسا حتى جدار الصين ، فإن لدينا من الثقة ما يحفزنا الى النظر فى ثقافات الأمم الأخرى ومذاهبها ، والتأثر بها والتأثير فيها ، دون أن تنهيب سيطرة مذهب أو ثقافة علينا . وهناك شاهد من التاريخ على ذلك .

فحين ضاع معظم أصول العلوم اليونانية قمنا بنقلها وترجمتها ثم قمنا بتجويدها ، ثم عدنا ننقلها معنا الى أوروبا وهى على درجة عظيمة من الاجادة والتحسين والزيادة .

يقول سارطون :

« انه لعمل عظيم جدا ، أن ينقل اليها العرب علوم اليونان وفلسفتهم وأن يزيديا عليها حتى، أوصولوها الى درجة مرموقة من النمو والارتقاء » .

ويقول السير وليام اوسلر :

« لئن أشعل العرب سراجهم من القناديل اليونانية ، فانهم مالبثوا أن أصبحوا جميعا شعلة وهاجة استضاء بنورها أهل الارض » .

نحن اذا لانعاني من النقص ، لاتنا حتى في حالة الاكتفاء المذهبي الذاتي سنجد في رصيدنا الروحي الغناء ... وليس أدل على ذلك من أن الامم التي انضوت تحت لواء الاسلام وجدت فيه ملاذا ومهريا من ظلم الاقطاع ، وانعدام الضوابط الاجتماعية ونحن تتأمل الصراع الدائر الآن بين كتلتى الشرق والغرب، فنجد عاملا من عوامل تفتيت الطاقة البشرية ، وموجها لها نحو الحرب ، ثم نجد كل مذهب يصنع معسكره بصيغة التبعية السياسية والاقتصادية والفكرية ، فتضيع شخصيات الشعوب وتصبح أشبه بذيول تجرجرها موسكو أو واشنطن ... ولاشئ، غير ذلك .

بل أننا حتى في داخل هذه المعسكرات نلاحظ انقسام

مذهبيا خطيرا فالصين وألبانيا قد أعلنتا في صراحة تمردا على الاتجاه المذهبي الذي تريد موسكو أن تمليه على الشيوعية العالمية .

فنتساءل بعد هذا كله ... أياصلح شيء من ذلك لنا ؟

أيحفظ شيء من ذلك مقومات شخصيتنا ؟

أمن خطر في اقتباسنا دون أن يجرفنا تيار التبعية ؟

أسئلة نسألها في صراحة وجراحة ، ونعلن اجابتها في وضوح النهار ، بلاخوف ولا تردد ، اذا شعرنا بخطر يهدد وحدتنا القومية أو تراثنا الروحي أو اتجاهنا السياسى فى الصعيد العالمى نحن نمد أيدينا الى الدول الكبيرة لنأخذ القروض، لأننا أمة تريد أن تتعجل الزمن فى بناء نهضتها ... ولكلنا لايمكن أن نتهاون لحظة واحدة بالتفريط فيما يمس سيادتنا من قريب أو من بعيد مقابل هذه القروض ، لان استقلال شخصيتنا هو آية وجودنا ، ومناط أملنا .

ولقد استطعنا أن نقول للأمريكان يوم رفضوا معاوتتنا فى بناء السد العالى أننا منبنى هذا السد بأظافرنا ، بل رددنا الكيل كيلين واسترجعنا القناة وكان هذا انعمل بداية لعدة انتصارات متتالية أثبتت كلها أن مقومات شخصيتنا قد نضجت واتضحت

م - ٣ القوى المعنوية للميثاق

وقويت ، وبرهنت عشر سنوات مضت من عمر ثورتنا على أن شعبنا قادر على مواجهة الحياة كتجربة كبيرة وأن في استطاعته أن يعدل أو يغير أو يطور مواقفه في هذه التجربة في هدى الواقع أولا وفي هدى تراثه ثانيا ، وفي هدى المواقف المماثلة في البلاد الأخرى أخيرا ، وهو في هذه الحالة الأخيرة يراعى الظروف المتشابهة والظروف المتباينة قبل أن يصدر الحكم بالاقتباس أو رفضه .

ولقد أدهش العالم جميعا أن يسير شعبنا هكذا بلا كتاب مسطور ولا نظرية مخطوطة ، كعهد الناس بالكتب والنظريات التي تصل الى مرتبة التقديس ولكن واقعية التفكير ، وانفتاح الذهن واصالة الوعي ، كل أولئك قد أتاح للتجربة أن تنصل وتضج ... وجاء الميثاق ليحتوى حياتنا في ضوء ذلك ، بكل ملامح هذه الحياة ، بكل أهدافها ، وأساليب العمل وأنماط السلوك .

* * *

ولا يمكن أن نتحدث عن تراثنا الروحي ونغفل موضوعا هاما يرتبط به كل الارتباط ألا وهو « الوحدة العربية » التي يعدها الميثاق حقيقة الوجود العربي ذاته ، بل يعد كل خلاف من حولها دليلا على قيامها وينبه الميثاق الى أصول هذه الوحدة فيجعلها في وحدة اللغة والتاريخ والأمل .

ويعني هنا أن أربط بين هذه الأصول وبين التراث

الروحي .

فاللغة العربية ليست ذات وظيفة اجتماعية يتخاطب بها الناس عبر الحدود العربية لقضاء المصالح فحسب ، بل هي ذات وظيفة ثقافية أيضا ، لأنها لغة القرآن ولغة الأدب ولغة الفكر ، فهي عند المسلم العربي أو المسيحي العربي مرتبطة بتاريخه وبأمجاده ، وبما قدم للانسانية في مجالات العلوم والآداب والفنون .

وتاريخ الأمة العربية يقول ان عهود الضعف كانت عهود التمزق ، وأن الوحدة العربية كانت قادرة - وحدها - على صد كل عدوان خارجي ودحر كل تدخل أجنبي ، ويقول التاريخ أيضا أن المغول حين أقبلوا كانوا يجرفون نحو اليم كل ما يصادفهم من كتب ومكتبات عربية ؛ وأن الصليبيين حين أقبلوا كانوا يودون القضاء على القوة المعنوية الروحية التي تسود الوطن العربي وتجمع من حولها المسلم والنصراني ، وأن اللورد اللنبي حين دخل بيت المقدس بعد ذلك بمئات السنين لم ينس حقه الأسود الذي انحدر اليه عبر القرون ... قال « ها قد عدنا بإصلاح الدين » .

فما معنى هذا كله ... معناه أن عدونا يدرك ادراكا تاما أن منابع القوة كامنة في اتصال تاريخنا بعقائدنا ، وأنه لا انفصام بينهما ، فهل يعي دعاة التفرقة والانفصالية ذلك ؟

أما وحدة الأمل التي يصفها الميثاق بأنها هي التي تصنع وحدة المستقبل والمصير ... فلن أحدثك عنها بأكثر من أن أضع بين يديك صورة لإسرائيل لتدرك الطرف المقابل .

اليهود الذين لا تربطهم بفلسطين ، وبينى جنسهم ودينهم المشتتين في بقاع الأرض إلا رابطة مزعومة منذ ألفى سنة ، قد حافظوا على هذه الرابطة وجعلوا انتظار العودة أمل الأبناء والأحفاد ، وغذوا هذا الأمل بكل ما يملكون وحاربوا من أجله نساء ورجالا ، وعلموا أنهم يشترون بهذا الأمل وطنا روحيا ومجالا ماديا حيويا يضمن لهم امتداد جنسهم وسيادة عنصرهم ومثلهم ...

فهل يظن دعاة التفرقة في العالم العربي أن من المحال أن يجتمع العربي في مصر وفي سوريا وفي العراق وفي الأردن على أمل واحد بعد أن شهدوا اليهودي اليمني واليهودي البولندي واليهودي المراكشي المغربي واليهودي الألماني تربطهم — على الرغم من اختلاف الثقافة وأسلوب الحياة واستعداد الذهن وتباين الالسنه — آمال لاحد لها ، صنعت منها الدعايات والباطيل أنشودة مقدسة في فم الطفل اليهودي والرجل اليهودي على السواء ???

من أجل ذلك أعلنها الميثاق قوية جريئة صريحة لا تقبل
الشك :

« أن الجمهورية العربية المتحدة ، وهى تؤمن بأنها جزء من
الأمة العربية لا بد لها أن تنقل دعونها ، والمبادئ التى تتضمنها
لتكون تحت تصرف كل مواطن عربى ، ولا ينبغى الوقوف
لحظة أمام الحجة البالية القديمة التى قد تعتبر ذلك تدخلا منها
فى شئون غيرها » .

« ان مساندة الجمهورية العربية المتحدة لكل حركة شعبية
يجب أن تظل فى اطار المبادئ الأساسية » .

« وهى مطالبة بأن تفتح مجال التعاون بين جميع الحركات
الوطنية التقدمية فى العالم العربى كما أنها مطالبة بأن تتفاعل معها
فكريا من أجل التجربة المشتركة » .

أرأيت، انها وحدة لا تتم فى نظر الميثاق الا على أساس من
المبادئ والأفكار والتعاون .

« لأنها لا يمكن ، بل لا ينبغى ، أن تكون فرضا ... »

« ولان القسر بأى وسيلة من الوسائل عمل مضاد

للوحدة » .

٣ - فهمنا لحقيقة الدين

« إن رسالات السماء كلها في جوهرها كانت ثورات إنسانية استهدفت شرف الإنسان وسعادته ، وإن واجب المفكرين الدينيين الأكبر هو الاحتفاظ للدين بجوهر رسالته » .

« إن جوهر الرسالات الدينية لا يتصادم مع حقائق الحياة وإنما ينتج التصادم في بعض الظروف من محاولات الرجعية أن تستغل الدين - ضد طبيعته وروحه - لعرقلة التقدم ، وذلك بإفتعال تفسيرات له تتصادم مع حكمته الإلهية السامية » .

« لقد كانت جميع الأديان ذات رسالة تقديمية ، ولكن الرجعية التي أرادت احتكار خيرات الأرض لصالحها وحدها ، أقدمت على جريمة ستر مطامعها بالدين ، وراحت تلتمس فيه ما يتعارض مع روحه ذاتها كي توقف تيار التقدم » .

وإذا فإن الميثاق يرى الدين رسالة تقديمية ، ويرى كل عرقلة لهذه - الرسالة ، بالجمود أو التزمّت ، أو الجهل ، أو التفسير المفتعل المغرض يرى ذلك كله محاولات رجعية تصد الدين عن الحياة ، عن البناء ، عن إسعاد البشر ... ولا تقل هذه المحاولات الرجعية خطورة على الدين من ذهاب الشيوعية إلى عزل الدين

عن المجتمع ، وكل منهما ينكر أثر الدين في تطوير الحياة ، ودفع
عجلة تقدمها ، وان اختلفت ظواهر الدعوى في الحالين .

ومن عجب أن بعض الحكام العرب الذين يتظاهرون اليوم
بأنهم سنده الدين وينذرون بما سيصيبه على يد الاشتراكية
العربية من ويلات ... من عجب أنهم سادرون في حماة الرذيلة ،
يكنزون الذهب والفضة لينفقوها في مواخير أوربا وأمريكا ،
وفي الاتجار بالرقيق الأبيض ، وفي نسج المؤامرات وحبك
الاغتيالات والاثقالات ... تاركين شعوبهم وديعة بين أيدي
الفقر والجهل والتخلف .

أما هذه الاشتراكية التي تبنى السدود والأفران الذرية
وتوسع مساحة الخضرة على جانبي النهر العظيم ، وتنشر التعليم
وترفع ألوية العزة والكرامة فوق هامة الانسان العربي ... هذه
الاشتراكية في زعمهم ملحدة ، تنكر الدين وتعتدى على حقوق
الناس وأموالهم .

وعندئذ سأتوقف بك أيها القارئ لأثقل لك صورة
سريعة عن موقف الدين من الذين ينطقون زورا باسمه - لتدرك
أن الدين رسالة لاصلاح المجتمع ، وان اشتراكيتنا حين صنعت
ما صنعت لم تجافه ولم تقاومه ، بل سايرته شبرا بشبر وذراعا
بذراع .

وحقيقة الأمر أن القوى الرجعية في الشرق العربي تستغل

نفوذ الدين عند جماهير الناس وتتهمهم أن الجماهير من السذاجة بحيث يصيبها الجزع لما سيحل به .

يعلن الميثاق في عشرة مواضع أو تزيد تمسكنا بالأديان ،
ويناشد المفكرين الدينيين أن ينشروا على الخاصة والعامة سلامة
الفكرة الدينية ، وقدرتها على الاسهام في حل مشاكل المجتمع .
• الاسلام دين المساواة ، فلا أثر فيه لتمييز طائفة عن
الأخرى نتيجة أسباب مادية ومعايير التمييز بين الأفراد في المجتمع
ترد الى مقاييس مثالية معنوية كالتقوى « لافضل لعربي على
أعجمي الا بالتقوى » .

والعلم « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم
درجات » .

والعمل الصالح « من عمل صالحا من ذكرا أو أنثى وهو
مؤمن فلنحيينه حياة طيبة » .

والجهاد « لا يستوى القاعدون من المؤمنين غيرأولى الضرر
والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم » .

واذا فليس ثمة فضل لاقطاعي أو انتهازي أو مراب ،
وانما الفضل للاتقياء والعلماء والعاملين والمجاهدين ، فالاسلام
بهذه المساواة يقر اذابة الفروق بين الطبقات ، ولكنه في الوقت
نفسه يعترف بالفروق المميزة بين الأفراد .

• وليس في الاسلام تحطيم لمعنوية الانسان حتى يرضى بالكفاف ويحيا حياة التسول ... انما العمل في الاسلام شرف وكرامة ، لانتنا من خلال العمل في الحياة الدنيا نميط اللثام عن خفايا أنفسنا ، تجاه الخالق والمخلوق ونستحق بالضرورة بعد ذلك ما نستحق من ثواب أو عقاب ، فالعمل هو مختبر شخصيتنا ومعيار لفضائلنا .

• أفلا يسمع حكام العرب الذين كتبوا على أقوامهم المذلة والخنوع والضعف قوله تعالى :

« ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم ، قالوا ، كنا مستضعفين في الأرض ، قالوا لم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا » .

أولا يسمعون قوله تعالى :

« واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا » •

ان الجوافز النبيلة لتغيير الأوضاع الاجتماعية المريضة ، والقضاء على أصول التأخر والضعف أمور حيوية وضرورية في حكم الدين •

• لقد حارب الاسلام كل مظاهر الاحتكار والاستغلال في حياة الناس المعاشية ، حارب المرايين والمطففين وآكلي أموال

الناس بالباطل ومكتنزي الاموال والاطعمة والسلع عن الناس •
يقول الرسول « بئس العبد المحتكر ان أرخص الله
الاسعار حزن وأن غلاها فرح » .

ويشع القرآن انتهاز المرايين للفرص وينذرهم بالحرب :
« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان
كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وان
تبتم فلکم رءوس أموالکم لا تظلمون ولا تظلمون » .

لاظلم منك . . . ولاظلم عليك . . . تلك هي خلاصة
العدالة الاجتماعية في نظر الدين •

• وليس من حق صاحب العمل حرمان عماله حقوقهم •
وقال (ص) « أعطوا الاجير قبل أن يجف عرقه » •
خصمه خاصته : رجل أعطى بى ثم غدر ، ورجل باع حرا فأكل
ثمنه ، ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه ولم يعطه أجره •
وقال (ص) « أعطوا الأجير قبل أن يجف عرقه » •

• ويستأصل الاسلام شأفة الاقطاع ، ولا يرى ملكية
الارض الا على أساس من الحق فيقول الرسول (ص) :

« من أخذ من الارض شبرا بغير حقه خسف به يوم القيامة
الى سبع أرضين » •

• ولا بد عن توزيع الثروة الاجتماعية أن تراعى العدالة حتى لا يهضم حق الفقير « كى لا يكون دولة بين الاغنياء منكم » .
• وينادى الاسلام بملكية المرافق العامة :

يقول الرسول (الناس شركاء فى ثلاثة الماء والكلا والنار) .
• وليس فى التاريخ الانسانى حروب تحمل رايات العدالة والخير كما حملت حروب المسلمين ، فان أول حرب سirt فى التاريخ لحفظ حق الفقير كانت بأمر أبى بكر ضد مانعى الزكاة وما الاصل فى فتح البلاد بعد ذلك الا محاولة للوصول الى وحدة عالمية تؤمن بالمثل والقيم .

وبعد . . . فليس هاهنا بسط لوسائل الدين فى تنظيم الحياة الاجتماعية انما أحببت أن أصور بعض ملامح سريعة لهذه الفكرة لأثبت كيف يتصل الدين بحياتنا اتصالاً وثيقاً ولأثبت كذلك أن مانحاوله فى الجمهورية العربية المتحدة لا يخرج عن الهدف الرئيسى للدين وهو « تكريم عنصر الانسان » الانسان خليفة الله فى الارض ، الانسان الذى يحمل روحاً من فيض الله ، الانسان الذى يستطيع بفضل الله أن يهتدى بالعقل الى ما يشبه المعجزات •

٤ - اشتراكيتنا مؤمنة

الميثاق هو الاطار الشامل لحياتنا ، لكل مافيها من قوى مادية وقوى معنوية ، وبتعاون هذه القوى جميعا نصنع تاريخنا ، ونضع أمام الانسان العربي نموذجا لطريقة حياته وتحركه في هذا الطور من التاريخ وفي الاطوار التالية .

كان حتما أن يستوحى الميثاق من معنوياتنا ، وعلى الأخص في جانبها الديني ما يؤيد استقلال شخصيتنا .

جاء الميثاق والحضارة الغربية تتصارع في مذهبين : مذهب رأسمالي لا يعيش الا في كنف الاستغلال والاستعمار ، ولا يقوى الا على حسابيهما ، مثلما قويت الوثنية الرومانية على العدوان والبطش والمنفعة .

ومذهب شيوعي يقاوم كيان الفرد ، ويعتبر الدين مشبها لهفته ، وحائلا بينه وبين الذوبان في الدولة ، ومخدرا لعقله ، لانه كما يقول كارل ماركس ، لا وجود لله ، والحياة مادة بحتة ، ورسالة العمال الشيوعيين هي القضاء على الدين والداعين له .

لقد اخترنا طريقا وسطا ، أثبت بنجاحه ان الرأسمالية وان كانت لا تصلح لمجتمعنا ، فان الشيوعية ليست البديل

الأوحد لها ، لأننا اذا كنا نرفض التبعية السياسية ونحاربها في
شتى صورها ، فانا نرفض التبعية المنهية لانها في نظرنا
أدهى وأمر .

وفي الجلسة التي عقدها المؤتمر الوطني مساء ٣١ مايو
١٩٦٢ شرح الرئيس أهم الفروق بيننا وبين الشيوعية أو
الماركسية اللينينية :

(الفرق الاول) أننا نؤمن بالدين والرسول ، ولهذا قلنا في
الميثاق « ايمان بالله لايتزعزع » بينما الماركسية تذكر ذلك -
وتعتبر الدين أفيون الشعب .

(الفرق الثاني) أننا نريد أن نتقل من ديكتاتورية
الرجعية الى ديموقراطية الشعب كله ، بينما الشيوعية تنتقل
من ديكتاتورية الرجعية الى ديكتاتورية البروليتاريا ، أى أنها
ديكتاتورية طبقية ، ونحن نرفض ديكتاتورية طبقة من الطبقات .

(الفرق الثالث) أن الماركسية تنص على تأمين الارض ،
ونحن لا نؤمن الارض ، لأننا نؤمن بالملكية الفردية في اطار من
التعاون .

(الفرق الرابع) أن الشيوعية لا تؤمن بالملكية الخاصة ،
ولكننا نؤمن بالملكية الخاصة بحيث لا توجه الى الاستغلال .

(الفرق الخامس) ان الماركسية تقضى على الطبقة

البورجوازية الرجعية بلا تعويض ، وبطرق القمع والعنف والتخطيط - ولكننا نحل التناقض بالوسائل السلمية .

والواقع أن ماركس متأثر في فهم المجتمع على هذا النحو برأى هيجل في تطور الفكر الانساني على نحو دياكتيكي ، يرى أن كل فكرة تحمل في أحشائها بذور فنائها ، اذ هي لن تبلغ الكمال المطلق ، ومن ثم يوجد تقيضها ، وهذا التقيض فكرة بذاتها ، تحمل أسباب زوالها أيضا - وينشأ عن الصراع بين الفكرة وتقيضها فكرة جديدة هي تقيض التقيض ، تجمع بين الفكرة الأولى وتقيضها ثم تقضى عليهما معا ، ثم تأخذ صورة الفكرة الأولى فيما تحدثه من تطور ، فيتشأ تقيض مشابه لها فيتصارعان وتنشأ عنهما فكرة ثالثة ، وهكذا يجرى الفكر الانساني في تطور حتمي مستمر .

طبق ماركس هذه الفكرة على التطور الاجتماعي ، بمعنى أن كل نظام عنده يحمل في أحشائه قوى مناقضة ، تنتهي به الى الفناء ليحل محله نظام اجتماعي آخر ... وعلى ذلك فان تاريخ أي مجتمع هو تاريخ صراع الطبقات فيه .

فهو القديم قام النزاع بين الأرقاء والسادة ثم انتقل التاريخ الى الاقطاع فنشب الصراع بين السادة ورقيق الارض . حتى انتهى الاقطاع وحل محله النظام الرأسمالي الذي سيجري عليه لا محالة حكم هذا القانون طبقا لحتمية التطور التاريخي .

على أننا نستطيع من واقع التجربة الاشتراكية العربية ، بل
من واقع مذهب ماركس نفسه ، أن نقصد الشيوعية الماركسية ،
فنقول :

ان غاية الماركسية هي انتصار طبقة البروليتاريا - أى
الطبقة العاملة - ولكن ديكتاتورية هذه الطبقة تخلق فى داخلها
الصراع المحتدم ، بمعنى أنها مخلوق اجتماعى لهم تستقر ملامحه
النهائية بعد - واذن فطبعا لحتمية التاريخ لن يتوقف المسير
الاجتماعى عند واحة البروليتاريا .

وأضف الى ذلك أن انكار القيمة الذاتية للفرد ، وانكار
حقوقه وحرياته واقتلاع الدولة لكل مافى المجتمع من حقوق
وحریات... كل أولئك لا يشر باستقرار اجتماعى مأمول ، لأن
الدولة ستجد نفسها دائما وأربدا فى حالة حرب ضد أعدائها فى
الداخل والخارج - وستعامل أنصارها وأعداءها على السواء
بوصف كونها فى حرب ، وعلى ذلك فلا حرية للانصار ، وانما
عليهم الطاعة والخنوع ، ولا رحمة بالأعداء وانما لهم الموت
والفناء ، وعلى ذلك وأخيرا فان كل ماتفرضه الدولة ينبغى أن
يؤخذ كالعقيدة التى لا تقبل المناقشة أو المجادلة من جانب
الحكومين .

أما نحن فالسلام رائدنا فى حل الصراع الطبقي ، والسلام
نعايتنا فى سياستنا الخارجية ، والاقناع العلمى خير وأبقى عندنا
- كما يقول الميثاق - من السخرة وحمامات الدم • والفرد عندنا

له كيانه وشخصيته وحقوقه وواجباته وحرياته ومواهبه ،
ولا تدخل الدولة في هذا كله الا عند اللحظة التي يبدأ فيها
استغلال حرياته وحقوقه استغلالا ضارا بالمجموع .

واشتراكيتنا في هذا متأثرة بالدين ، الذى يقدر فردية
الفرد ، لانه في اليوم الآخر سيحاسب - كفرد - على ما قدم من
خير أو شر .

كما أن اشتراكيتنا متأثرة بالقيم الانسانية ، التى تؤمن بأن
احساس الانسان بكرامته وكيانوته هو أنصح الفروق بينه وبين
البهائم ، كما أن بداية السعادة الحقيقية لا تكون الا اذا شعر
الانسان بهذا الاحساس فى حين أن الماركسية متأثرة فى فكرة
الفرد والدولة بالفكر الاوربى ، وعلى الاخص بفلسفة هيجل
الذى يرى الدولة مصدر الحقوق ، والحرريات ، والافراد فى
المجتمع يستمتعون فى رأيه بحرية أصدق من تلك الفوضى التى
عاشوا فيها فى تلك الحالة الطليقة من القانون . ويرى الحرية
الصادقة تترتب للفرد فى داخل المجتمع . فالدولة هى التى تمنح
الفرد الحرية ، وهى تفعل ذلك لان لها ارادة مستقلة ، هى الارادة
العامة المنبثقة من تمثيلها لرغبات أعضائها ، فكل أعمالها سليمة
من كل عيب ، لانها تموه الارادة العامة ، وللدولة كذلك شخصية
مستقلة ، ولهذه الشخصية حقوقها التى تسمو فوق كل خلاف ،
وتعلو على حقوق الافراد ، ومادامت الدولة هى صاحبة المنح ،

فان لها الحق كل الحق في أن تسيطر على حيوياتهم ، وتتصدى لمشكلاتهم وتضع لها الحلول .

أما في اشتراكيتنا العربية ، فان القوة العليا في نظر الميثاق ، هي الوحدة الوطنية ، وأول الطريق الى هذه الوحدة الوطنية هو عزل الرجعية عزلا تاما عن الحكم وجهاز الدولة وتجريدها من كل أسلحتها . ثم يأتي من بعد ذلك دور الحلول السليمة لمشاكل المجتمع داخل الوحدة الوطنية ويبدأ التفاعل السلمى بين قوى الشعب العاملة وهي الفلاحون والعمال والجنود والمثقفون والرأسمالية الوطنية - وهذا التفاعل تحكمه مبادئ أساسية هي :

١ - قيام التنظيمات الشعبية بالاقتخاب الحر المباشر لتمثيل الأغلبية الشعبية .

٢ - تعلو سلطات المجالس الشعبية المنتخبة باستمرار فوق أجهزة الدولة التنفيذية .

٣ - وفي داخل الوحدة الوطنية المتمثلة في الاتحاد الاشتراكي العربي ينشأ جهاز سياسى جديد يجند عناصر القيادة وينظم جهودها .

٤ - جماعية القيادة لكبح جموح الفرد ونزواته .

٥ - النقد والنقد الذاتى كضمان للحرية .

م - ٤ القوى المعنوية للميثاق

٦ - تغيير القوانين ونظم التعليم واللوائح لابرار مفاهيم الثورة الديموقراطية .

بهذا يمكن أن يجرى العمل الديموقراطى على نحو تتجنب به اشتراكيتنا الاصطدامات الطبقية .

والشئ الذى سيلفت الانظار فى آسيا وافريقيا بخاصة الى اشتراكيتنا أنها لن تتكون بطريق حزب - كالحزب الشيوعى - كما أنها لن تضطلع بها ديكتاتورية عسكرية تستمد قوتها من الجيش والبوليس . انما حرص الميثاق فى أكثر من عشرين موضعاً على أن ينسب الى الشعب ، كل الخطوات التى بلورت فى النهاية العقيدة الاشتراكية العربية .

فالثورة ليست عمل فرد ، انما الثورة عمل شعبى تقدمى ، والعمل الثورى الصادق لا يمكن أن يتم بغير شعبيته وتقدمه ، وأعظم ما فى ثورة ٢٣ يوليو أن القوات التى خرجت من الجيش لتنفيذها انما كانت أداة شعبية لها ، والشعب المعلم ، وأصالة الوعي الشعبى وقوته هى التى فرضت أن يكون الحدث الكبير ليلة ٢٣ يوليو خطوة على طريق تغيير جذرى شامل وهكذا لا يفتأ الميثاق ينبه الى دور الشعب وأصالته ووعيه ، وأن الايمان به أعظم ضمان لتحقيق كل المكاسب الثورية العظيمة - وليس على الشعوب الآسيوية الافريقية التى مازالت تعيش فى نفس الظروف التى عاش فيها شعبنا منذ عشر سنوات الا أن ترسم خطاه وتنهج نهجه .

القيم الإنسانية في الميثاق

المتأمل في ثوراتنا الثلاث - السياسية والاجتماعية والثقافية
يلحظ أننا فيها جميعا نطمح الى هدف أساسي ، هو « تكريم
الانسان » وآية هذا التكريم في نظر كل ثورة من ثوراتنا اشراك
الانسان في مقدرات وطنه .

فالثورة السياسية تطلب بطريق الديمقراطية الصحيحة أن
تشارك كل مواطن في حكم بلده .

والثورة الاجتماعية تطلب بطريق الاشتراكية الصحيحة أن
ينال الفلاح والعامل نصيبا في الارض والمصنع .

والثورة الثقافية يراد منها بطريق « دعوة العلم للمجتمع »
أن يحظى من حرم العلم بظروف مواتية لأن ينال قسطا منه كي
يشارك في المساهمة الفكرية الناهضة .

وراء كل سطر في الميثاق هدف بعيد أو قريب لكل ثورة من
هذه الثورات ، وبهذا يمكن القول أن ثورتنا قد تحولت الى
دعوة ، دعوة انسانية تنقذ عالم اليوم مما هو مقبل عليه من
أهوال وأخطار .

ويمكن أن نحدد أبرز القيم الانسانية من خلال الميثاق في
ثلاث :

(ا) الحرية .

(ب) العلم .

(ج) السلام .

أ - الحرية

نحن أمة ابتليت بالاستعمار من شتى الاجناس ، وابتليت
بآثامه على مر العصور ، فلا عجب أن ينطبع في خاطرنا دائماً
وأبداً طرفان متقابلان :

أما أحدهما فهو الاستعمار باعتباره أقدر جريمة ترتكب في
حق الانسان والآخر هو الحرية باعتبارها أقدس الحقوق التي
تنقل الانسان من وهدة العبودية الى قمة السيادة ، من اختناق
الضحية الى نعمة الانطلاق .

من أجل ذلك تساقط الآباء والاجداد صرعى على مر
الأجيال ، حتى أسلموا هذه الأمانة الغالية ، وكان حتماً أن
تتشبث بها ، وأن نهىء لها أن تتغلغل في أدق دقائق حياتنا ،
وأوشكت أن تكون في الميثاق غايته المثلى التي ليس بعدها
غاية .

تناول الميثاق الحرية في ضوء استعراض صور النضال الشعبي وتوقف عند كل مرحلة وقفة متأنية ليتفقد أسباب النجاح وأسباب الاخفاق في كل مرحلة ، وخلص الميثاق من هذا العرض الى الحقيقة التالية :

« بعد عهود طويلة من العذاب والأمل تبلورت أهداف النضال العربي ظاهرة واضحة ، صادقة في تعبيرها عن الضمير الوطني للأمة .

« وهي الحرية والاشتراكية والوحدة » .

ثم مضى الميثاق في مواضع متناثرة ليتحدث عن « حرية الوطن وحرية المواطن » وعن العلاقة بين « حرية التصويت ولقمة العيش » .

وعن « حرية التنظيم الشعبي المستند الى التمثيل الفعال للشعب » وعن « حرية الكلمة » و « حرية النقد » و « حرية الصحافة » و « حرية العقيدة الدينية » و « حرية العلم » و « حرية الاجتماع والمناقشة » حتى يمكن القول أنه توقف عند كل جانب من جوانب الحياة ليربط بينه وبين الحرية برهات وثيق .

ولكن محصلة هذه التوقعات انتهت بالميثاق ، الى قضية كبيرة خالدة تستحق أن توضع المؤلفات الكثيرة في شرحها وتفسيرها :

« ان للحرية جناحين لاتستطيع بدونهما أن تحلق الى الآفاق العالية التى تتطلع اليها جماهير الشعب وهما الاشتراكية والديمقراطية » •

لا يمكن أن تتحقق الحرية الا اذا خلص الفرد فى المجال الاجتماعى من كل قيود الظلم والاستغلال ، وخلص فى المجال السياسى من كل دواعى التضيق والتضليل ... عندئذ تصبح الرؤية صافية ، ويمكن أن يشاهد ملامح مستقبله ، بل يمكن أن يصنع هذه الملامح وأن يشكلها وفق ارادته ومشئته •

وتوسيع قاعدة الحرية بتوسيع قاعدة التمثيل السياسى معناه فى نظر الميثاق أن نطاق الحرية قد امتد الى أوسع مداه ، وأن اشتراك الشعب فى تحمل مسئوليات الحكم ، سيضمن للعمل الثورى ايجابيته وفاعليته فى حين كان قصر التحرر على فئة محدودة من الناس فى الجانبين السياسى والاجتماعى يهدد الحياة ولا يضمن للمكاسب الشعبية — أن وجدت — استمرارا أو استقرارا •

ان الشعور بالحرية يضمن تجدد الوعى الشعبى ، لان الفرصة ستكون مواتية لظهور قيادات جديدة وأفكار جديدة أكثر حماسا وأعظم اصابة من سابقتها ، وبهذا كله يضاف الى وجه الوطن مزيد من كرات الدم الجديدة تكسبه تألقا وعافية واشراقا •

ونحن لا نستقى مبادئ التحرر من كتابات فولتير وراسين

وكورنى التى أعلنوها كشعارات للثورة الفرنسية ، والتى طبقوها على الانسان الفرنسى وحده ، والتى تنكروا لها خارج الحدود الفرنسية ، وأنكروها على الانسان فى المستعمرات ... نحن لا نستورد هذه الآراء انما نستوحيها من تراثنا ومن تاريخنا : ففى الاسلام حرية العقيدة الدينية وحرية التملك وحرية الهجرة والتنقل وحرية السكن وحرية الرأى « فلقد أصابت امرأة وأخطأ عمر » ويقول عمر كذلك « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا » .

ولكى تدرك عظمة هذه الحريات أضع بين يديك وصف المؤرخ الانجليزى جيبون لحياة الامبراطورية الرومانية فى مثل هذا الوقت :

« كان ظلم الاغنياء يزيح الاعباء الجائرة الى كواهل عامة الشعب الذين كان الاغنياء يسلبونهم ويخدعونهم ، حتى لقد يبلغ من شدة وطأة ديوان المصادرة فى أعقاب أموالهم وايقاع ألوان العذاب بهم ان صار الرعايا ، يؤثرون حكم البرابرة (أى قبائل الهمج فى شمال أوروبا) وهو أخف بالنسبة لهم من عسف الروم أو يلجأون الى الجبال والغابات هربا بأنفسهم ، بل انهم كانوا يضطرون الى الهبوط الى أحط مراتب الانسانية ويرضون أن يصيروا عبيدا مسخرين للسلادة . فآدى هذا الى أن كره عامة الشعوب لقب المواطنين الروماني وتبرأوا منه . الى أن قال : وخلاصة القول ان الدولة الرومانية ان بقيت بعند

وقت فقد بقيت بعد أن فقدت فيها الحرية والفضيلة والشرف» •
والخلاصة أن دعوتنا الميثاقية إنما تنبع من تلك الدعوة
الخالدة التي سبقت الثورة الفرنسية - أم التحرر
الأوربي - بمئات السنين ، وكانت ألوية هذه الدعوة تضم
من تحتها كافة البشر بلا تمييز في الجنس أو اللون أو العقيدة •
وأحب قبل أن أختم هذا المقال عن الحرية أن أهمس
همسة خافتة في آذان أهل الصحافة باعتبار أنهم كانوا موضع
اهتمام الميثاق أولاً ، وباعتبارهم ذوى نفوذ كبير في توجيه
الشعب وقيادته بما لا يدع مجالاً للإنكار - ثانياً •

الصحافة في المجتمع الرأسمالي لا خير عليها أن تناولت
المسائل الفردية لأن الطبع الاناني الفردي من سمات ذلك
المجتمع ، ولذلك تمتلئ صحفهم بالتشهير والنفاق والطبل
والزمر ... لأن اعتماد الصحيفة على الاعلان أكبر مصادر
تمويلها ، والاعلان مرتبط بالشركات الاحتكارية •

أما في المجتمع الاشتراكي فالخطأ - ان حدث - حجمه
كبير ، لأنه سيؤذي أكبر عدد من الناس يتأثرون به ، ومن هنا
وجب أن ترتفع الصحافة الى مستوى القيادة ، وأن تترفع عن
التفاهات والذاتيات ، بمعنى أن تكون موضوعية ، وأن تكون
رائدة ، وأن تخلص النصيح والتوجيه ، وأن تكون نموذجاً
طيباً للمشاركة الوطنية الجادة الواعية يستفتح به الناس يومهم
قبل أن يبرحوا بيوتهم كل صباح •

ب - العلم

ان العلم هو أوثق القيم الانسانية بالحرية .

ذلك لأن العلم في أدق تعريفاته انطلاقة العقل الانساني .
ولقد صدق الرئيس حين قال في أحد احتفالات عيد العلم :

« عقيدتي الثابتة أن العلم على اختلاف نواحيه هو
الوسيلة الحققة لتطوير مجتمعنا ، ويد العلم وحدها هي القدرة
على أن تحول أحلام الشعب الى واقع ، وأن تترجم آماله الى
خطط واضحة المناهج ، ان العلم هو طريق الحرية الحقيقية ،
والجهل هو أشد ألوان العبودية ظلاما » .

ولقد اعترف الميثاق بما اعترف به رجال التربية من أن
تجربة الصواب والخطأ احدى طرق المعرفة ، ولكن الميثاق
يعترف أنه :

« بدون العلم فالن التجربة والخطأ تصبحان نزعات
اعتباطية قد تصيب مرة لكنها تخطيء عشرات المرات » .

كما اعترف الميثاق بأهمية العلم في التخطيط ، فنحن في
عصر لا تسير فيه أمور الحاضر والمستقبل سيرا عشوائيا ، بل
لابد من حسابان لكل خطوة من خطوات المسير ، وعلى هذا

فان العمل الوطنى لا يمكن أن يّودى الى نتائج المرجوة ما لم يتسلح بسلاح العلم ... وما فروع العلم المختلفة الا احتياجات الشعب أو بعبارة أدق الا وفاء لاحتياجات الشعب
فبناء السد العالى ضرورة شعبية ، ولأئنا اذا وضعنا فى الاعتبار أقل نزيد كل عام نحو نصف مليون نسمة ووضعنا فى الاعتبار مساحة الاراضى المنزرعة حاليا والموارد الاخرى من التجارة والصناعة ونحوها .. لتصورنا أية كارثة ستحل بنا اذا وقفنا جامدين على حال ثابتة بلا تقدم أو تطوير *

ان السد العالى - وهو مقخرة علمية من مفاخر القرن العشرين - سيروى مليون فدان ويحول ٧٠٠ ألف فدان الى رى دائم ، ويمد بالماء ٧٠٠ ألف فدان جديدة تزرع الارز ، وينتج طاقة كهربية تقدر بعشرة مليارات كيلووات ساعة كل عام ، ويزيد الدخل القومى ١٥٠ مليون جنيه والدخل الحكومى ٢٠ مليون جنيه سنويا *

هذه العظمة المادية الهائلة ركزها الميثاق على دعامة معنوية أطلق عليها ارادة الشعب *

والشعب الذى تتحرك ارادته فى فلك العلوم ، شعب يكتب له الخلود وما استوى المصريون القدماء على عروش الحضارة الانسانية الا لمهارتهم فى الطب والهندسة والبناء والفنون ...
وما نحن الا حفدة هؤلاء العمالقة *

وليس من قبيل الاقتعال أن نرجع المعجزات التي تحققت على أيدي الرسل إلى أصل علمي ، فقد كان على هؤلاء الرسل أن يیزوا أقوامهم فيما برعوا فيه من مهارات ، فموسى ألجم السحرة ، وعيسى بهر المتطبين ، ومحمد أعجز العرب بما أتى به من آيات بينات أذهلتهم وهم أهل الفصاحة واللسن والبيان •

والمأمل في تاريخنا الروحي يلحظ اهتمام ديننا بالعلم والتعلم ، فلقد حُبب الإسلام إلى العلم ، وزين الاغتراب في سبيله وفرضه على كل مسلم ومسلمة ، وجعله معيارا للتمايز بين الافراد •

وقرع القرآن هؤلاء الذين يتشبثون بالتقليد والالف تاركن عقولهم كالطاقات المعطلة ، يقول : « انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون » •

ولقد يحسن أن تصور لك قوة نفوذ العلم في تغيير الحياة تغييرا شاملا حين أذكرك بما كان عليه العرب في الجاهلية من أمية وجهل •• وجاء الإسلام فأفاد الحركة العلمية لان نشر الدين كان يستتبع الحاجة إلى القارئین الکاتبین ، وقد أمر النبي (ص) أن يفدى بعض الاسرى الذين يكتبون حين يعلمون عشرة من صبيان المدينة ، وحث النبي (ص) بعض أصحابه على تعليم لغة غير اللغة العربية لان حاجة الدعوة تتطلب ذلك ،

فيروى أنه قال لزيد بن ثابت « انى أكتب الى قوم فأخاف أن يزيدوا على أو ينقصوا فتعلم السريانية ، فتعلمها فى سبعة عشر يوماً » •

وكان لابد للعرب كفاتحين أن يتعلموا القراءة والكتابة كى يستطيعوا مجاراة الموالى وهم ذوو ثقافات قديمة عظيمة • وقد ارتفع الاسلام بالمستوى العقلى للمسلمين بما نشره من قصص ومواعظ عن الأمم السابقة والأنبياء والرسل وبما فصله من أحكام الزواج والطلاق والشئون المدنية والجنائية ، فضلا عن أن حوافز الايمان بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر كانت منبعثة من الحث على التدبير فى نظام الكون •

وما أن نصل الى القرن الثالث الهجرى وبعده حتى يدهشنا أن يقف المسلمون فى تاريخ الفكر الانسانى وقفة الاساتذة ، فقد ساعدتهم العبقريّة العربية ، وطبيعة الدين أن يهضموا ويتمثلوا كل ما يقع تحت بصرهم من نتاج علمى أو أدبى أو فنى •

ويقول مؤرخ أوربى كبير « احذفوا العرب من التاريخ يتأخر عصر التجديد فى أوروبا عدة قرون فلقد لمع العرب فى كل الميادين العلمية ، وفى الوقت الذى كان فيه الشعراء والادباء والفقهاء يقومون بأدوارهم فى نهضة العرب الروحية والنفسية والخلقية كان العلماء فى كل الميادين يقومون

بقسطهم من البحث والنقل والتجويد ... لم يدعوا بابا الا
طرقوه ، ان لم يكونوا قد فتحوا في العلم أبوابا جديدة .

ويقول العلامة كاجورى :

« ان العقل ليدهش عندما يرى ما عمله العرب في الجبر ،
والواقع أن كثيرا من النظريات المتأخرة جاءت على ألسنة علماء
العرب وذكروها في مصنفاتهم ، كالتشابه الواضح بين نظرية
أينشتاين في الجاذبية وآراء الفارابى فيها . »

والفارابى — كما يقول مصطفى عبد الرازق — أول من
صنف دائرة المعارف في العالم .

ولقد كانت الساعة التى أهداها الخليفة هارون الرشيد
الى الامبراطور شارلمان ضربا من السحر فى نظر أوروبا فى حين
أنها تدل على طول باع العرب فى علم الطبيعة .

وأورد صاحب (عيون المسائل فى أعيان الرسائل)
جدولا عن الاثقال النوعية للذهب والفضة والزئبق والرصاص
والنحاس والحديد والزيت واللبن وغيرها بالقياس الى الماء
العادى ، ولم يطرأ على ذلك من جديد فى عصرنا الا قياسها
بالنسبة للماء المقطر .

والحسن بن الهيثم صاحب نظريات فى الانعكاس
والانكسار وتعليل ظواهر الرؤية وقوس قزح وغير ذلك مما

يجعله في رأى الاستاذ مصطفى نظيف « أعظم مؤسسى علم
الضوء شأننا وأكبرهم أثرا ، وكانت مؤلفاته المرجع المعتمد عند
أهل أوروبا فى القرن السادس عشر » •

ومن أقوال ابن الهيثم العظيمة « ان النور يدخل العين
ولا يخرج منها وان الشبكية هى مركز المرئيات وان المرئيات
تنتقل الى الدماغ بواسطة العصب البصرى » •

وفى حقل الرياضيات وضع الكاشى أساس الكسر العشرى،
 ووضع الخوارزمى أصول علم الجبر... وقد نشر الدكتوران
مشرفة ومرسى أحمد مخطوطة له فى الجبر والمقابلة كانت
محفوظة بجامعة أكسفورد وفى هذه المخطوطة شرح للمعادلات
والجذور والرموز الرياضية •

وألف الطوسى فى الهندسة وخاصة فى المثلثات •

وفى الجغرافيا تطالعنا أسماء الادريسي وياقوت ... وقد
وضع الادريسي كتابا طريفا فى الفلك ، ولعلك ستدهش عند
سماع عنوانه :

« نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق »

وجابر بن حيان الذى يعد علما فى الكيمياء كما يعد أرسطو
فى المنطق •

وأبو بكر الرازى الذى عرف حمضى الكبريتيك

والازوتيك والصودا الكاوية وابن البيطار له كتاب في علم
النبات اسمه « الجامع لفردات الادوية والاغذية » يعد من
أعظم البواكير في هذا العلم •

وابن سينا ظل قانونه مرجع أهل الطب ثمانية قرون ...
وغير هؤلاء كثيرون وكثيرون •

أحببت أن أستطرد معك في ذكر لمحة عن تفوقهم العلمى،
لأثبت لك أننا خليقون بالسبق والزيادة ، وإن في الامكان اذا
قاتتنا مجاراة عصرى البخار والكهرباء أن نسايق الزمن لنصل
الى مجد العصر الذرى •

ولهذا كله وجه الميثاق نظراته السديدة نحو الجامعات
والمؤسسات العلمية ، فيقول :

« لم تعد الغاية اخراج موظفين للعمل في مكاتب الحكومة،
ومن هنا فإن مناهج التعليم في جميع الفروع ينبغي أن تعاد
دراستها ثوريا لكي يكون هدفها هو تمكين الانسان الفرد من
القدرة على تشكيل الحياة » •

وجعل الميثاق وصول القرية الى مستوى المدينة أمانة في
أعناق المثقفين لأنه لم يعد مستساغا أن تكون الجهود كلها
مركزة في المدينة في حين تظل القرية في نومها العميق •

«إن الارادة الثورية ينبغي أن تتسلح بالعلم»

« ومن هنا الدور العظيم الذى لا بد »
« للجامعات ولمراكز العلم على مستوياتها »
« المختلفة أن تقوم به » .

« ان مسئولية الجامعات ومعاهد البحث »
« العلمى فى صنع المستقبل لا تقل عن »
« مسئولية السلطات الشعبية المختلفة » .
« ان الجامعات ليست أبراجا عاجية ولكنها »
« طلائع متقدمة تستكشف للشعب طريق »
« الحياة » .

من أجل ذلك كله صارت لدينا وزارة للتعليم العالى
ووزارة للبحث العلمى فضلا عن مجلس أعلى للعلوم ومركز
قومى للبحوث ومعهد للتخطيط ومعهد للبحوث الجنائية ومعهد
للصحراء ومعهد لأبحاث البناء فضلا عن مؤسسة للطاقة الذرية
وعدد كبير من المكتبات والمتاحف والجمعيات العلمية وكان من
نتائج الخطة العلمية فى بلادنا أن سجلت هيئة اليونسكو
اعجابها وتقديرها بالتقرير الذى أعد عنها ، وقررت عقد مؤتمر
اقليمى يكون مقره القاهرة لتنظيم التعاون فى الميدان العلمى
بين دول الشرق الأوسط .

كذلك تتطلع البلاد بشغف عظيم لما سوف يتمخض عنه
تنفيذ القانون الثورى الخاص بالأزهر ، وتأمل البلاد فى تخريج

عدد كبير من العلماء الذين يستطيعون خدمة الدين والدنيا كما كان العهد بأسلافهم •

ومن الانصاف أن نختم هذا المقال عن « العلم » بآراء الدكتور عبد العزيز السيد بوصفه أستاذا جامعيا ومديرا للجامعة في السابق ووزيرا حاليا للتعليم العالي ، فقد أوضح في محاضراته التي ألقاها في ١٤ مارس الماضي بجامعة عين شمس رسالة الجامعة في المرحلة الحاضرة من تطور المجتمع العربي ، واستطاع سيادته أن يتناول هذا الموضوع الهام من جوانبه المختلفة ، فوصل بين الجامعة والحياة الواقعية ، وحدد دورها في خدمة المبادئ التي نسعى لتحقيقها على السواء في داخل وطننا أو في نطاق الوطن العربي الكبير •

ولم ينس أن ينبه الى الصعوبات التي تواجه الجامعة حتى تؤدي دورها على الوجه الأكمل من ازدياد عظيم في عدد الطلاب زيادة تفوق في بعض الاحيان طاقة الجامعة - ومن قلة الامكانيات من حيث المباني والمعدات ورغم ما ترصده الدولة لمواجهة الاحتياجات ، ولكن اتساع المد العلمي في عهد الثورة يحتاج دائما وباستمرار الى مضاعفة الجهد والمال واليقظة •

وألمح الوزير الى نقص هيئة التدريس نتيجة امتصاص عدد خم من الخبراء في مجالات الحياة النشيطة الدائبة خارج الجامعة ، ونتيجة محاولتنا في الاعتماد على أنفسنا في عملية التطوير المستمرة في الصناعة والزراعة والاقتصاد ونحوها •

ولم ينس الوزير فى ختام محاضراته أن ينادى بضرورة
تطعيم المناهج الجامعية بكل ما من شأنه الوصل بين الجامعة
والحياة العملية ، حتى لا تنفصل المعارف الدراسية عن أسلوب
الحياة التى اخترناها لانفسنا ، كما أبان أن من الضرورى
ادخال مواد جديدة فى المقرر الدراسى ، كالمجتمع العربى وثورة
يوليو الاشتراكية الديمقراطية التعاونية ، بحيث تدرس هذه
المواد من وجهات نظر كل كلية ، فيتكون من هذه اللبنة سفر
كامل لعقيدتنا من ناحيتى النظرية والتطبيق ، وبهذا يمكن أن
تصبح الجامعة فى خدمة المجتمع لانه كما ورد فى الميثاق :

« يجب أن يكون العلم للمجتمع هو شعار »

« الثورة الثقافية فى هذه المرحلة - وعندما »

« يبلغ النضال الوطنى أهدافه سوف يسمح »

« لنا بمرحلة متقدمة من تطورتنا بأن نساهم »

« ايجابيا مع العالم .. فى العلم للعلم »

ج - السلام

ليس من شك في أن الرغبة في السلام رغبة انسانية ،
لا تقتصر على الدول الصغيرة التي تقل عددا وعتادا إذا قيست
بالدول الكبيرة ، لأن الفرد العادي في هذه الدول الكبيرة قد
ابتلى بالحرب ، وعانى منها ، وتمرس بأهوالها ، وقاسى الفقد ،
فقد الاخوة والأبناء والأصدقاء .

ونحن كأمة تريد إعادة بناء الحياة على أرضها ، نشعر
أن الاستقرار لا بد أن يملأ كل ركن من أركان الأرض ،
فالسلم - في نظرنا - فضلا عن كونه قيمة انسانية فهو
ضرورة ، هو احتياج ، هو الفرصة المواتية لتخطيط المستقبل
هو الحافز الوحيد على رصد المبالغ الطائلة من أجل الرفاهية
والخير والاسعاد

من أجل ذلك شاركنا في كل المؤتمرات الدولية التي
عقدت من أجل السلم ، تحت سماء باندونج ، وعلى أرض
بلجراد ، وفي أروقة جنيف وفي كل اجتماع خارج بلادنا أو مع
كل زائر قدم ببلادنا . . . ثم لا ننسى وقفة رئيسنا المجيدة في
هيئة الأمم المتحدة وكيف كان صوته فوق منبرها يهتف
بالسلم في كل أرجاء العالم ، لأعلى الأرض العربية وحدها ،

بل فى الكونغرو وفى برلن أفضا وفى غيرهما من المناطق الحساسة
اللى يتوتر فىها الصراع .

من أجل ذلك أعلنّا فى كل مناسبة أننا ضد التجارب الذرية
حيث أجريت وشاركنا فى ذلك مشاركة إيجابية .

ومن أجل ذلك دعونا الى « عدم الانحياز » .

« فكانت أولى الدعوات له صادرة من القاهرة ، ولقيت
استجابة رائعة لدى الكثير من الشعوب ، وكان ذلك تقديرا
إنسانيا للمنهج الذى سلكناه فى خدمة السلام بعد إيماننا به
واخلاصنا له » .

وباستقراء الميثاق فى مواضع كثيرة يمكن أن نرجع مقومات
السلام الى الاسباب الآتية : —

١ — الصراع المذهبى المحتدم بين الكتلتين الشرقية
والغربية .

٢ — التحالف العسكرية .

٣ — التكتلات الاقتصادية .

٤ — التمييز العنصرى .

٥ — الصدام بين التخلف والتقدم نتيجة تفاوت مستويات
الشعوب تفاوتاً مخيفاً .

٦ - احتكار العلم ♦

٧ - نقص الوازع الخلقى والروحي أفقد ثقة الانسان
في الانسان ♦

٨ - تثبيت الاستعماريين بمراكزهم ♦

٩ - توجيه الأموال الطائلة الى التسليح الرهيب ♦

١٠ - التفنن في وسائل الحرب النفسية ♦

وفي الميثاق عبارة لها في حياتنا ذكريات مثيرة : « السلام
لا الاستسلام » ♦

« لقد رفع شعبنا حتى في أحلك ظروف »

« المعارك القاسية التي أرغم على خوضها »

« شعاره الخالد (السلام لا الاستسلام) ... »

« ايماء واضحة الى أنه يقبل التعاون »

« الدولي ولكنه يقاوم السيطرة » ♦

وأنا أجزم أن هذا الشعار من أعظم الأدلة على اتساقنا
للعروبة ذلك أن من خصائص العربي أن يتنازل لغيره عن الكثير،
ولكنه في اللحظة التي يشعر فيها أن هذا التنازل على حساب
كرامته ، ينتفض كالأسد الجريح ليثأر وينتقم ♦

نحن كرماء ... ولكننا لسنا سفهاء ♦

نحن تهاون ولكن من أجل الخير والانسانية ♦

نحن قد نسكت ... ولكننا لا نقبل الضيم •

وهذه الخصائص العربية الكامنة في أعراقنا هي التي
أملت علينا في تصرفاتنا السياسية أن نقف مواقف صلبة
أدهشت أعداءنا ، وحيرت أصدقاءنا • فكلنا نذكر كيف تصرفنا
حينما أوعز دالاس بسحب تمويل السد العالي أمننا
القناة !

وكلنا نذكر كيف تصرفنا حينما أنذرنا ايدان سنة ١٩٥٦
أنذارا بوليسيا محدد الميقات ... حاربناه وانتصرنا عليه
وطمسنا نجمة السياسى الى الابد ... !!

وحياتنا السياسية المعاصرة تحفل بشواهد كثيرة على أننا
تؤمن بالسلام ولكننا نكفر بالاستسلام •

واليوم .. ونحن نتطلع من خلال سيناء ، لنسبح اسرائيل
وهى تتشدد بأغنية السلام لتوهم بها البسطاء ، فى أنحاء العالم ،
كى يصدقوا عليها من كرمهم وعطفهم — نقول لها ان الاسباب
الخطئة تنتج نتائج خاطئة ... وانها وليدة الخطايا .. ولهذا
فان طال صمتنا اليوم فان عروبتنا تهتف فى أعماقنا ... ان يوم الفصل
آت لا ريب فيه ، فلا استسلام ... بل لا سلام الا اذا رد
الحق الي صاحبه ، وصحح التاريخ موازينه •

« ان مجتمعنا مطالب الى الوقت الذى تستقر »

« فيه مبادئه العظيمة — ان يكون مستعدا »

« باستمرار ، من أجل حرية الوطن والمواطن »

« — أن يدعم السلام بالقوة » •

« والجمهورية العربية المتحدة ، بالتاريخ »

« وبالواقع هي الدولة العربية الوحيدة في »

« الظروف الحالية التي تستطيع تحمل »

« مسئولية بناء جيش وطني يكون بمثابة »

« القوة الرادعة للخطط العدوانية »

« الاستعمارية الصهيونية » •

والحق اننا نستمد وقاية السلام من تاريخنا الروحي •

وهناك دعوة خاطئة تلوكها الاوساط العادية للاسلام
حين تتهمه بأنه دين قام بحد السيف وانتشر بالقوة والبطش ،
وهذه فرية لا تثبت على المحك لحظة واحدة ...

ذلك ان دعوة الاسلام ليست معقدة ولا غامضة ، فلا
تكلف العقل مشقة ، وشرعية الاسلام ليست متعسفة ، وانما
هي هينة لينّة تتناسب مع طبيعة الانسان ، ولا ترهقه من أمره
عسرا ... ثم ... « لا اكراه في الدين » .

وليس رسول الاسلام مطالباً أو مسئولاً أمام ربه الا عن
مهمة التبليغ والانذار ... فمن آمن فلنفسه ومن ضل فعليها •
وما سمح بالقتال الا لرد العدوان وحماية الدعوة وحرية

الدين ونشر السلام وتركيز الحياة على موازين العدل
والمساواة واشاعة الطمأنينة والاستقرار وما كانت الجزية عوضاً
مالياً عن دم أو عقيدة ، وإنما هى علامة على كف الأذى
ومشاركة فى حمل أعباء الدولة •

وما قاتل الرسول الا من قاتله ، أو دفعاً لظلم ، أو قضاء
على فتنة •••

وكانت تعاليم الاسلام اذا وصلوا الى أرض العدو أن
يخبروه فى واحد من ثلاثة ، اما الاسلام ، أو الجزية أو القتال ••
وما كان هذا التخيير الا رغبة فى السلم وعدولا عن روح
العداء •

وتقضى هذه التعاليم كذلك بمعاملة الناس الذين
يتمسكون بدينهم ولا يدخلون الاسلام — بأن يشعروا بالأمن
والاستقرار، وبأن يعاملوا بالبر والاحسان ، والعفو والصفح ••
بل سمحت هذه التعاليم بمصاهرتهم والتعاون معهم •• وهكذا
يمكن القول ان الاسلام — وهذه هى خصيسته المميزة — يطمح
الى تكوين وجدان انسانى شامل وتعاون عالمى مثمر •••
وما أشد ظمأ الانسانية اليه اليوم ! !

القيم الخلقية في الميثاق

ثورتنا دعوة

ليس الميثاق كتابا في الوعظ والارشاد ، ومن هنا لا تتوقع أن تأتي الاخلاقيات فيه على نحو مباشر ، كالحث على الفضيلة والتمسك بالصدق .. و .. الخ انما تأتي الاخلاقيات ضمنية ومن وراء السطور لأنها أشبه بالبواعث الخفية التي تحرك الانسان فاحية الخير ، وتحفزه عليه .

وتقصد بالقيم الخلقية مجموعة الالتزامات الادبية التي يراعيها الآحاد في سلوكهم ، وفي تصور غاياتهم ، وينبغي أن يكون ذلك كله - كما يقول علماء الاخلاق - ابتغاء مثل ثلاثة عليا هي « الحق - والخير - والجمال » .

ولا يمكن أن تصبح الثورة ملكا لمجموع الشعب إلا اذا تحولت الى دعوة . لأن الثورة مرتبطة في بدايتها بالطلّاع ، بالشوار ، بمقدمات الصفوف

أما الدعوة فهي عقيدة جماعية يلتزم بها الفرد ، في السر والعلن اذا خلا الى نفسه أو اتصل بالناس .

يريد الميثاق أن يصبح الشعب صاحب الثورة وحارسها

ويعترف الميثاق للشعب بهذه القوامة ويدين له فيها بالفضل
كل الفضل ، وفلسفة الميثاق في ذلك ألا ترتبط الثورة بفرد أو
بمجموعة من الافراد ، لان هؤلاء الى زوال ، أما البقاء
والخلود فللشعب .

ولقد حدث في صدر الاسلام ، بعد وفاة النبي أن حاول
البعض الارتداد عن الدين وعندئذ وقف أبو بكر في الناس
قائلاً « أيها الناس من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات ،
ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت » .

ولقد يحسن هنا أن نورد مثالا للدعوات التي ترتبط
بصاحب الدعوة ارتباطاً يصل الى درجة التأليه فستالين
بكل ما له من جهد في دعم النظرية الماركسية اللينينية سواء في
شرحها أو في تطبيقها لقي خلال حياته من مظاهر التقديس
ما ارتفع به الى النجم ، ثم ماذا لقي بعد وفاته « أسوأ
الاسباب والالتهام ، وأبشع الجحود والانكار وأثيرت حول اسمه
الدعايات بالحق والباطل ، وأزيحت صورته من أماكنها .

وزحزح رفاته من الكرملين . . وألقى به — كما تزعم
بعض الروايات — في نهر الفولجا ! !

لهذا كله ترتبط الثورات القويمة بأصلها القومي
بالشعب ، وتناهى بمقدار ما تستطيع عن عبادة الفرد ، بل ان

القائم بمثل هذه الثورة ينال أعظم التكريم في حياته ومماته
إذا كان رمزاً لارادة الشعب ، ومحصلة لآماله وآلامه ، وقوة
دافعة لجهده ، وتبلورا نهائيا لمراحل نضاله ... وهذا هو
الحال في ثورتنا .. أو في دعوتنا .

ثورتنا دعوة لرفاهية الانسان في جيلنا وفي الاجيال
القادمة ، وارتباطها بالمعنويات أعظم دعامة لها وأقوى حصن
يقيها عاديّات الزمان .

لم يكتف الميثاق ببسط جوانب الثورة المادية في الاقتصاد
والاجتماع والسياسة ، بل حملها شحنة من الاخلاقيات ، اذا
أفرغت منها تعثر سيرها وتوقف .

ومن يتأمل الضمانات التي اشترطها الاتحاد الاشتراكي
العربي فيمن ينضم الى عضويته وفي تنظيماته وفي مراكزه
القيادية يجدها لا تخرج عن كونها شروطا أدبية معنوية سلوكية،
فلا بد أن يكون مواطن شريفا ، لا يستغل ، لا يطلب مزايا أو
استثناءات ، يتصرف كقدوة ، يضع مصالح الدولة ومصالح
الاتحاد فوق مصلحته الشخصية ، يخدم الشعب بروحه وبقلبه
ولا يخدمه الشعب ، لا يتعالى على الشعب ، يوثق الروابط بين
الشعب ومع الشعب ، يسمع للشعب ، ويتعلم منه ، يقبل النقد
ويمارس النقد الذاتي .. ونحو ذلك .

لقد صارت السياسة تكليفا ومسئوليات ، اعطاء لا أخذا ،

لقد آن أن تختفى الميكافيلية التي تبرر الوسيلة ، ستتلاشى من حياتنا الانتهازية والالانانية لتحل محلها خدمة الجماعة والايثار والتضحية •

وحيثما يدخل الفلاحون والعمال بنسبة ٥٠٪ - كما نص الميثاق - في المجالس الشعبية سينتشر في جو حياتنا عير جديد، وأنا هنا أتحدث - كقروي - نشأ بين القرويين ، وفي أحضان الارض الطيبة فأشهد أن لدي الفلاحين من حصانة الخلق والوداعة والسماحة والبراءة والصدق والصراحة والوفاء والشجاعة والصرامة ، والجلد والثبات ، ما يشر بأنهم سيكونون خير حملة للامانة التي ألقيت عليهم ، وان ذلك سيضمن لثورتنا ألا تنحرف أو تنتكس على مرور الايام •

ونظرة الى ما حدث خلال نكسة الوحدة في سوريا ترينا ان العناصر الانفصالية لم تكن مطلقا من بين الفلاحين والعمال، وانما كانوا من طبقة السياسيين القدامى الذين استتروا خلف الوحدة ، لينسلوا الى كبدها وليغمدوا فيها خناجرهم ، وليقضوا على ما حققته للعمال والفلاحين من مكاسب • لقد عاش هؤلاء السياسيون في حضن الاستعمار وارتبطت مصالحهم بطرق السمسرة والوساطة والاختكارات والخيانات والمؤامرات ، وكان شعارهم اذ يرون الوحدة تنمو وتتألق - ان ما لا يمكن أخذه في وضح النهار يمكن التسلل اليه خلال تنظيمات الاتحاد القومي ، وتحويله الى أوكار لخدمة الانصار

والاغراض والمآرب ، وهكذا غطوا سياستهم بقشرة وحدوية ،
في حين جرت أصابعهم في الخفاء وفي الظلام لتهيل التراب على
كل ماحقته العمال والفلاحون من مكاسب المصانع والشركات
والأراضي .

ان اتاحة التمثيل العددي للفلاحين والعمال على نحو
ما جاء في الميثاق ، انما هو في الواقع ضربة قاضية موجهة
للمرجعية بكل ماتمثله من أخلاق اللصوص والقتلة والمتآمرين
وبكل ماتمثله من خسة الاستعمار وأغراضه الدنيئة .

وقد ينتقد البعض طرفة هذا التمثيل الفلاحي العمالي
بـدعوى أن الوعي السياسي لديهم لم ينضج بعد ، أو نتيجة
التأثر بحالات فردية ظهرت في تصرفات بعض العمال والفلاحين
من استعلاء وتكبر وتمرد نتيجة احساسهم بنفوذهم الجديد .

ولكن الحق الذي لا مرية فيه أن التجربة وحدها ستزيدهم
حنكة وصقلا ، وستلقى عليهم من المسؤوليات والتبعات
ما يجعلهم أهلا لأن يكونوا عند حسن الظن بهم ، ثم يجب علينا
كنفسانيين أن نقدر أثر الحرمان الطويل والفاقة والتضييق
والكبت التي عاشوا فيها على المدى الطويل وانه ليس من
المستغرب أن تبدر من بعضهم ظواهر الشموخ ... فان أعرق
نفس يلتقطه الطائر الحبيس لحظة أن يفلت من محبسه !

ولست في حاجة الي أن أعيد عليك ما كانت تمتلىء به

صفحات المجتمع في الصحف من أنباء الطبقة الارستقراطية وأهل السياسة والحكم، والسهرات الحمراء التي كانت تعج بالصدور العارية ، والروائح الباريسية والفراء الفاخرة ومودات كريستيان ديور ومدام كارفن ... وأظنك معي في أن. روائج الاخلاق في هذه الاوساط كانت تزكم الأنوف !

ثم أظنك تذكر كيف كانت أنظمة الحكم تبارك فساد الملك بل ان احد رؤساء الوزارات في ذلك العهد كان « يرتو ببصره الى طلعة الملك المفدى وراء البحر حيث لا يشغله سوى شعبه لأنه لا يضمن على رفاهيته بوقت أو جهد » وكان رئيس الوزراء هذا يعلم أن الملك المفدى !!! يقضى لياليه في حانات الرقص والقمار بمونت كارلو وكابري والريفيرا ، بل كان حول هذه الموائد مثار الفضائح ومادة للقصص المخجل المثير .

لقد كانت السفارات الأجنبية تجد في تلك الأجواء ضالتها المنشودة بل لا أعدو الصواب اذا قلت أن بلادنا كانت تحكم من خلال هذه السهرات وعلى تلك الموائد ... وبذلك الاخلاق !! ومع ذلك ظل شعبنا يناضل معركة تلو معركة لانه كما يقول الميثاق :

كان مصرا على أن يستخلص للمجتمع الجديد الذي يتطلع
« يتطلع اليه علاقات اجتماعية جديدة تقوم على قيم »
« اخلاقية جديدة وتعبر عنها ثقافة وطنية جديدة »

والتأمل في سياستنا العامة يلحظ أن وراء كل شعار ندعو
إليه قيمة خلقية ، فنحن « نكره الاستعمار » — لانه ظاهرة
تتناهى مع كرامة الانسان ، فان المجتمع في ظل الاستعمار
لا يستكمل سيادته وبالتالي لا يستكمل ملامح وجوده ، انه دائما
مقيد ، خائف ، مضطرب ، مهضوم مغلوب على أمره مسلوب
الارادة ، تابع ...

وأظنك لا تخالفني في أن هذا المجتمع لا يمكن ولا يتصور
أن يكون متمسكا بالقيم الثابتة أو المعاني المطلقة بصورة عامة ،
ففيه يشرى اللصوص ويتفوق الانتهازيون ، ويرتفع الخونة
والمنافقون والدساسون والجواسيس والاذئاب وفيه يشيع
النفاق ، ويسيطر الخوف .

وفيه يتعادي المواطنون ، وينقسمون الى شيع وأحزاب ،
ولا تفرق طائفة عن طائفة الا بمقدار بعدها أو قربها من موائد
السفارات الاجنبية .

وحين تنادى كل صفحة من صفحات الميثاق — بل كل سطر
منه « بالعزة والكرامة » انما تنادى بنيد الاخلاقيات الهشة
التي تصاحب التخلف والتمسك بالاخلاقيات المتينة التي تصاحب
التقدم .

ونحن حين نقول « ان الوحدة لا ينبغي أن تكون فرضا »
قائنا نرفع شعارا خلقيا لانعترف فيه بالقسر والضغط والضم ،
ووثق من بحرية الرأي ، لان :

« الاهداف العظيمة يجب أن تتكافأ أساليبها شرفا مع غاياتها ومن ثم فإن القسر بأي وسيلة من الوسائل عمل مضاد للوحدة . انه ليس عملا غير اخلاقي فحسب ، بل هو خطر على الوحدة الوطنية داخل كل شعب من الشعوب العربية وبالتالى فهو خطر على وحدة الامة العربية فى تطورها الشامل» ..

ونحن حين نحارب التمييز العنصرى انما نرد ذلك الى أصل خلقى ... فهو فى نظرنا جريمة يرتكبها الاستعمار ، وضحيته الانسان الملون ، ويلحق أذاها الضمير الانسانى كله .

ونحن حين ننادى بالرخاء الذى ينبغى أن يسود العالم كله انما نرد هذا النداء الى أصل خلقى اذ نعتبره :

« تفكيرا انسانيا يشترك فيه المسئولون وغير المسئولين »
عن العصر الاستعماري .

وهكذا لو شئت أن تتغلغل فى صميم دعوتنا السياسية على النطاق العالمى لألفت بأعشها فى الأغلب الأعم أخلاقيا .

وكذلك الحال فى دعواتنا الداخلية

فالاصلاح الزراعى مثلا تصميم لاصلاح الاوضاع الاجتماعية وما يتبعها من اعادة لموازين الاخلاق ، لان الاقطاع كان يمثل فى القرية نفس الدور الذى يمثله الاستعمار بعامة فى الوطن كله .

ولهذا وجبت اعادة بناء المجتمع الجديد :

« على دعائم الكفاية والعدل ، ومحاطا بدرع واق من المبادئ الخلقية » .

« ان الفكر الاجتماعى هو الذى يرسم الطريق لصنع المجتمع الجديد ، وما يمكن لهذا الفكر أن يطوره من قيم اخلاقية جديدة ومعان انسانية متفتحة للحياة نابضة بها » .

ولا يفوتنى أن أنبه هنا الى نقطة هامة :

« أن تحرير الفلاح والعامل ينبغى أن يفهم فى أوساط الفلاحين والعمال على أنه أمانة ثورية ضخمة ، فيجب عليهم أن يتقبلوا حمل هذه الامانة بلا تنكر لآخلاقهم التقليدية ، ولهذا فان أعظم ما تنادى به فى هذا الطور هو حماية أنفسنا من أنفسنا فالفلاح الذى يغادر القرية ليجلس تحت قبة مجلس الامة عليه ألا يفصل - بمرور الوقت - وجدانيا عن القرية وأهلها ومطالبهم وتقاليدهم - والعامل الذى يرتفع به التنظيم الشعبى الى مركز قيادى عليه الا ينسى أن بدلته الزرقاء وسام شرف مابعده شرف ، فلا ينبغى أن ترحزحه الاوضاع الجديدة المتحررة عن اخلاقياتها وتقاليدها .. والتزاماتها » .

بهذه الروح تصان المكاسب الثورية ولا تنبدد ، وتتزايد على مر الزمن ولا تنقلص .

نظرات الميثاق للأسرة والطفولة وللشباب

* يؤمن الميثاق بالفرد ... ويعتبر الفرد الحر هو اللبنة الأولى في مجتمع الأحرار ، وبهذا تفترق اشتراكيتنا العربية عن الشيوعية الماركسية التي تسلب ارادة الفرد ، وتذيبها في الدولة ، ويصبح الافراد مجموعات مختلفات من التروس في الجهاز الكبير ، يسرون كأنهم معصوبو الاعين ، بلا رأى ولا مشورة ... وبلا حق في الملكية أو التصرف .

والميثاق يستلهم ذلك من المعاني الروحية لأن :

« أساس الثواب والعقاب في الدين هو فرصة متكافئة لكل انسان . ان كل بشر يبدأ حياته أمام خالقه الاعظم بصفحة بيضاء يخط فيها أعماله باختياره الحر » .

ويستمدّها الميثاق كذلك من واقع الحياة لأن :

« حرية الانسان الفرد هي أكبر حوافزه على النضال »

* واذا كان المجتمع ذا قيم سلوكية شريفة فان أعمال الفرد ستصطبغ حتما بهذه الاتجاهات الشريفة ، أما اذا انطمست معالم الطريق وانبهمت الغايات فان حرية الفرد غالبا ماتتجه نحو

الانحراف .. وكلنا يذكر كيف كانت أوضاع المجتمع قبل الثورة
تساعد على الاثراء الفاحش بأى سبيل بل كان الوزراء يتجرون
فى السوق السوداء ، وبأرزاق الناس ويضاربون باحتياجاتهم
الضرورية بلا رادع من ضمير أو قانون ... بل كان كل ذلك
يجد فى حماية اللوائح والقوانين وما زلت أذكر كيف لم يقنع
أحد أعضاء مجلس النواب فى العهد السابق بغناه الطائل فراح
يتاجر فى المدخرات ويهربها فى اطارات السيارات لتوزع على
تجار الجملة والتجزئة .

وهذا النائب الاقطاعى لم يصنع ماصنع الا فى حماية
صهره ... الوزير المنتفخ الأوداج !!!

* ليست الظروف هى التى تصنع الأخلاق ، لأن للانسان
السيادة الكاملة على الظروف ، ولأن الخطر كل الخطر فى تصور
أن الحياة تجرى هكذا بلا قياد أو عنان ... والا لما كانت هناك
معان ثابتة مطلقة يتفق الناس على انها ضوابط تكبح جماح
النفس ، وتنظم الحياة الشريفة النبيلة وأنا أكتب هذا الكلام
وأعنى به بعض كتاب القصة والمسرحية وبعض مؤلفى الأغنية
الذين ينصرون الرذيلة والخطيئة فى بعض المواقف ويلتمسون
لصاحبهما المعاذير نتيجة الظروف !!!

* مجتمعنا حاله عجب ... لا هو بالمحافظ المتزمت ، ولا
هو بالمتحرر الصادق فى تحرره .

فينا من يقوقع المرأة داخل المشرقيات مثلما كان يحدث فى

عهد الحرير ، وفيينا من يدع المرأة تنطلق على سجيته . . .

و قليل منا من يقدر معنى التحرر ، وأن معناه أن تنطلق
عواطفنا بنفس السرعة التي انطلقت بها عقولنا ، وعندئذ تختفى
العقد ، ويزول القلق وتتلاشى الحيرة ، وتستقر ملامح المجتمع
على حال واضحة مفهومة .

ان ما يعاينه كثير من فتياننا وفتياتنا من ذبذبة في السلوك
ناتج عن عدم تحديد معالم الطريق أمام أعينهم ، وبالتالي فإن
النسبية في قياس الامور غلبت على الاطلاق ، كما غلبت التفاهة
والسطحية وجفا الشباب القراءة الجادة في العلم والادب والفن
وجنحوا الى الافلام والقصص الجنسية والبوليسية ، وأصبحت
قيمة العمل الفني تقاس بما فيه من اثاره لا بما له من قيمة
وأصالة .

في مجتمعنا رجعيون في « فن الحياة » كما كان لدينا
رجعيون في « السياسة » وليس خطر أولئك بأقل من هؤلاء
لأن التعصب المقيت عامل من عوامل التقهقر والجمود والسلبية .

وفي مجتمعنا مثقفون قد نالوا من ثقافة الغرب حظا كبيرا
لكنهم قد سكرُوا من خمر هذه الثقافة ، حتى أصبح ماسواها
باطل الا باطل وقبض الريح وهم لا يعلمون أن « هذه الشقراء
الجميلة الذكية » - كما يصنف الحكيمة أوروبا - هي
نتيجة اقتران آسيا وافريقيا في طور من أطوار التاريخ .

نظر الميثاق الى حال المجتمع ، فشخص آداء ووصف الدواء
حين قال :

« والثورة العربية وهى تواجه هذا العالم لا بد لها أن
تواجهه بفكر جديد لا يحبس نفسه فى نظريات مغلقة تحد من
طاقته وان كان فى نفس الوقت لا ينعزل عن التجارب الغنية التى
حصلت عليها الشعوب المناضلة بكفاحها - ان التجارب
الاجتماعية لا تعيش فى عزلة عن بعضها وانما التجارب الاجتماعية
كجزء من الحضارة الانسانية تعيش بالانتقال الخصب وبالتفاعل
الخلاق . أن مشعل الحضارة انتقل من بلد الى بلد لكنه فى كل
بلد كان يحصل على زيت جديد يقوى به ضوءه على امتداد
الزمان . »

« وكذلك التجارب الاجتماعية .. انها قابلة للانتقال لكنها
ليست قابلة لمجرد النقل ، قابلة للدراسة المفيدة لكنها ليست
قابلة لمجرد الحفظ عن طريق التكرار . »

ان الشخصية اليافة للمجتمع فى نظر الميثاق تسمح بالتأثير
والتأثير ، ولكنها لا تسمح بالنظريات الجاهزة التى تنتقل من
مكان الى مكان كأنها مصبوبة فى قالب ... صالح لكل
المقاسات .

وهذه اليافة فى شخصية المجتمع هى التى دفعته لأن يعلن
لأول مرة وبصفة قاطعة رصرية وحاسمة « المساواة التامة بين
الرجل والمرأة .. »

وليس هناك قضية اجتماعية بحاجة الى هذا القطع من هذه القضية لأن التردد في الاعلان بسلامتها ربضورتها كان يسبب كثيرا من ظواهر القلق الاجتماعى .

المرأة - التى هى الأم والأخت والزوج - يجب أن تقف الى جوار الرجل تشد أزره فى عملية البناء الاشتراكى الجديد الذى يحتاج الى كل طاقة منتجة كى يسبق الزمن ويلحق بالركب .
ان هذه المساواة ليست تدليلا للمرأة أو عطفها عليها ...
انها احمال ثقالة ومسئوليات ضخامة تضاف الى أعبائها العادية التى خصتها بها الطبيعة .

والحق أن وراء هذه المساواة أمرين هامين :

أما الاول - فيتصل بترائنا الروحى ... فان القرآن قد جعل التمايز بين الناس - ذكورا كانوا أو اناثا - بقيمة العمل - قال تعالى :

« فاستجاب لهم ربهم أنى لأضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضهم من بعض » •

وأما الامر الثانى - فتمصل بالناحية الخلقية ، أذا أن افساح مجالات العمل وتنوعها أمام المرأة ، سيعصمها من الزلل ويربطها بالمجتمع على أسس قوية قوومة ، ويذيب من عقدها اذا ناوأتها ظروف الحياة .

أتدرون ماسر احتفاظ القرية باخلاقياتها ؟ ان المرأة في القرية تقف كتفا الى كتف مع الرجل منذ بزوغ أول شعاع للفجر الى غروب آخر خيط من خيوط الشمس ... انها شخصية معنوية تضطلع بعبئها كاملا ، دون حاجة للتوقف هنيهة في كونها رجلا أو امرأة .

لا تشغلوا بالكم بالمرأة ، فانها ستكون في المجتمع الجديد جديرة بدورها الجديد ، ولكن قولوا شيئا آخر ... قولوا نحن الرجال بحاجة الى أن نكون قدوات صالحة في بيوتنا وأمام زوجاتنا وبناتنا ... فليس من شك في أننا - نحن الرجال - بحاجة الى أن نتمسك بعري الفضيلة ، ونقدس رباط الزوجية وتتفانى في محبة أبنائنا ، وكل خلاعة تجدها في طريقك وراءها رجل مفكك الشخصية منحل الخلق ... لأن فاقد الشيء لا يعطيه بطبيعة الحال .

ان اختفاء العقد من حياتنا نتيجة التحرر العاطفي والفكري سيزيل من شوارعنا هذه الشراذم من الشباب الذين يتسكعون ويعاكسون ... وسيزيح من أفاريز الطرقات والمقاهي العامة هذه الصفوف المتراسة من الأدميين الذين لا هم لهم الا التحديق الفاجر ، والتعليق السخيف حينما تمر من أمامهم سيدة ربما كانت أختنا أو زوجا لواحد منهم .

تلك صور لمجتمعنا أحببت أن أمسها في عرض لا تنقصه

الصراحة ، وأرجعه الى علله التى أرسبتها أحقاب طوال من
التخلف والجمود وسيثبت مجتمعنا الجديد أنه :

« قادر على أن يصبوغ قيما اخلاقية جديدة لا تؤثر عليها
القوى الضاغطة من العلل التى عانى منها مجتمعنا زمانا طويلا ».

اهتم الميثاق بالاسرة كنواة للمجتمع ، وأشاد بالروابط
الاسرية على أساس من الدين والاخلاق واستلزم أن :

« تتوافر لها كل أسباب الحماية التى تمكنها من أن تكون
حافضة للتقليد الوطنى مجددة لنسيجه متحركة بالمجتمع كله ومعه
الى غايات من النضال الوطنى » .

والمجتمع الشيوعى - فى مقابل هذه الصورة - يجعل
الفرد ذرة ينبغى أن تتلاشى فى جسم الدولة ، ولهذا فان روابط
الاسرة وتكاليفها وأثقالها ومعانى الحنو والأمومة والأبوة بكل
ما فيها من جمال ومتانة وخلود - تعد فى نظر الدولة عوائق تحول
بين الفرد والذوبان فى المجتمع .

الطفل يولد لا ليحتضنه أبواه ... بل لتقوم الدولة بذلك
تحتضنو عليه أو تقسو كما يتفق الامر ، ان الدولة قد تملك توقيت
الوالدين فليس هناك متسع لتكاليف الحضانة والرعاية ، وقد
أدى ذلك بطبيعة الحال الى اضعاف عرى الزواج ، وانسحاء
الاهتمام بذراريه ، وصار الامر لا يعدو قضاء الرغبة الغريزية ..

وليس غير ، فكأن الأسرة في المجتمع ذات وظيفة بيولوجية غايتها
إمداد المجتمع بأعضاء جدد .

ليس مصادفة إذا أن ينفذ الميثاق من خلال تراثنا الروحي ،
ومن خلال تقاليدنا ، ومن خلال آيات تكريم الإنسان ليُجعل من
الأسرة نواة للمجتمع وليُجعل من الطفولة - وهي أعلى ثمرات
الأسرة - موضع الوقاية والعناية والرعاية لانها « صانعة
المستقبل » وعلى ذلك تكون الأسرة في نظر الميثاق ذات وظيفتين .

(١) نفسية وعاطفية تتصل بتوفير الاستقرار والأمن
والحماية لأعضاء الأسرة كما تتصل بالحنو على الصغار مدة
طفولتهم ذلك لأن صغير الإنسان أضعف الصغار ولأنه يحتاج
لوقت أطول نسبيا حتى يمكنه الاعتماد على نفسه .

(ب) تربية تنبني على التنشئة الاجتماعية بوصفها أول
هيئة اجتماعية تستقبل الطفل وهو أشبه مايكون بالعجينة القابلة
للتشكيل .

* ولا بد أن تنظم الأسرة تنظيما علميا - بمعنى أن
نستفيد مما نجحت فيه بعض الأمم في تنظيم النسل وضبطه ...
وليس ذلك مناوأة للطبيعة كما يحلو للبعض أن يتشدد به ، لأن
أهم خصيصة للإنسان تميزه عن الحيوان ألا يحافظ على نوعه
فحسب بل أن يرقيه أيضا ... فترقية نوع الإنسان وظيفة طبيعية

كامنة فيه ، وأظنك معى فى أن عشرة جنيهاً فى الشهر لأسرة من
فردين غير عشرة جنيهاً فى الشهر لسبعة أفراد .

ان عيش الفاقة والتضييق يخلق الكبت والحرمان وفى ظلال
الكبت والحرمان تنشأ عداوات فطرية فى الشخص تجاه المجتمع ،
وتتولد أخلاق من نوع لامهادنة فيه ، ولا يزيدا تقدم السن الا
تفاقما وضراوة .

ومن أهم الحلول لهذه المشكلة :

١ - سن التشريعات التى ترفع سن الزواج الى ٢١ سنة
بدلاً من ١٨ سنة .

٢ - تنظيم ارشاد الاهالى الى طرق تحديد النسل فى
العيادات ، والمستشفيات الحكومية واستخدام وسائل الارشاد
والتوجيه فى ذلك .

٣ - تقييد تعدد الزوجات .

٤ - تنظيم استغلال أوقات الفراغ وخاصة فى الريف .

٥ - تحسين المستوى الثقافى عن طريق نشر التعليم ورفع
مستوى الوعي العام .

يضاف الى ذلك ماينبغى أن يعنى به المختصون بتنمية
الموارد وفق سياسة تخطيطية بعيدة المدى .

وكى يكون الشباب دعامة من دعائم المجتمع الجديد
ينبغى أن تتوافر لهم الرعاية الصحية والادبية وأن تصان أفكارهم
من الانحرافات المذهبية وأن توجه طاقتهم فى أوقات الفراغ الى
أعمال مثمرة - وأن تفسح المجالات أمام المبرزين منهم فى العلوم
والآداب والفنون والتربية الرياضية بطريق المباريات والمسابقات
التي ترصد لها الجوائز الادبية والمادبة تشجيعا لهم وحثا لقرانهم.
وينبغى أن يراعى التكامل بين برامج رعاية الشباب ، بحيث
لا تنفصل حلقة عن أخرى أو جو عن آخر ، وبحيث لا تتضارب
أو تزدوج هذه البرامج .

وعلى الجملة فان الصحة النفسية والبدنية للشباب هى
أقوى ضمان لصيانة المبادئ الاشتراكية وتسليمها للأجيال
القادمة بأيد فتية وقلوب متوثبة .

وهكذا تظل شعلة الثورة عبر الاجيال قوية متوهجة يضىء
نورها طريق الحياة وتحرق نارها أعداءها .. أعداء الحياة .

مصادر الكتاب

القرآن الكريم

الميثاق الوطني

للدكتور مريدن

فضل العرب على الانسانية

للدكتور البهي

الاسلام في الفكر الغربي

للدكتور عبد العزيز السيد

رسالة الجامعة

مقررات مؤتمر العلمين عامي ٩٥٦ ، ٩٥٨

لكارل ماركس

رأس المال

لارسطو

الاخلاق

لساطع الحصري

العروبة أولا

أحمد أمين

فجر الاسلام

هيئة قناة السويس

مناقصة عامة

تطرح هيئة قناة السويس لتناقصة عامة عملية تركيب خط من مواسير الظهر قطر ٤٠٠ ملليمتر بشوارع محمد علي بين شوارع السلطان حسين ومنطقة مستشفى الهيئة بالاسماعيلية ويمكن الحصول على مستندات المناقصة للحضور شخصيا قسم التخطيط والابحاث بالاسماعيلية وذلك نظير دفع مبلغ ثلاث جنيهات، وتقدم العطاءات باسم السيد رئيس هيئة قناة السويس (التخطيط والابحاث) بالاسماعيلية في ميعاد اقصاه الساعة الثانية عشر من ظهر يوم الثلاثاء الموافق ١١ سبتمبر سنة ١٩٦٢ على ان تكون مصحوبة بتأمين ابتدائي وقدره ٢٠٠ جنيهه يلتفت الى اية عطاءات تقدم بعد التاريخ الموضح اعلاه او غير مصحوبة بالتأمين الابتدائي المذكور .



١٥٧ شارع عبید - روض الفرج

تلیفون ٤٠٥٨٧ - ٤٠٧٥٣ - ٤٠٨١٤ - ٤١٠١٢



١٥٧ - شارع عبید - روض الفرج
تلیفون ٤٠٥٨٨ - ٤٠٧٥٣ - ٤٠٨١٤ - ٤١٠١٢